

جميلة سلطان

ركنور في الآداب

وعضو المجمع اللغوي للدراسات السامية في باريس

الموشح

إرشا لاندلس الثمين

دراسة وشواهد

جميل سلطان

دكتور في الآداب

وعضو الجمع القوي للدراسات السامية في باريس

الموشح

إرشا لاندلس الثمين

دراسة وشواهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عهدى بالموشح — وأدب الاندلس — قديم ، ولعله أقدم مما
يتخيل ، فلقد كان ذلك من عهد العبا المبكر ، يوم كانت العين تفتح
على حنان الآوة ، فترى المثل الطيب الصالح ، والنغم العذب الطروب ؛
وتشهد الاكبار للفن الدقيق ، والاعتصام بالتروم العيوف ، وتقرأ النظم
الرائق الجديد ، في اطار من روائع الوحي القديم .

ثم كان من أسس التوجه الى الادب ، ان تألق نور الاندلس كأبهر
ما يسحر ، فشغل أديبا من الزمن ما شغل ، واستنفد موشحها من
الجهد ما استنفد ، حتى اذا وليت ادارة الاذاعة عام ١٩٥١ ، كان الموشح
مما أيد ونشط ، والله بعد ، اوفر عددا من كل اذاعة .

فان كان اتبع الموشح في الأدب والفن من عمر ، فهذه ثمرة عبقة ، ارفعها
الى من يعجز في الوفاء بحقه ، توجيهاً وتعلية ، وارشاداً وتقوية ، الى من
عرف رجال الفن من اطلاعه فوق مما عرفت ، وانغموا بثروته الفنية
اكثر مما انتفعت :

الى والدي

محمد سليم سلطان

ارفع حماد من عمل باخلاص ، ودعاني بر ، واستشرف الى خير .

ج

دمشق ١٩٧٢/٧/١٩ و ١٩٥٣/٤/٣

مواد الكتاب

- ١ - فن التوشيح : طلائع التجديد في الشعر العربي . الموشح وحدوده
 الفنية ، الاقوال والآيات ١٣ - النام والأفرع ١٩ . الخرجة ٢٣ .
 استعارة الخرجة والآيات ٢٦ . الأساط والأغصان والتوشح ٣٠ .
 أصل الموشح وتطوره ٣٤ .
- ٣٧ - أوزان الموشح : الأوزان العروضية . الموشح الشمري ٣٨ .
 الأوزان الإيقاعية والجديدة ٣٩ .
- ٤٢ - خصائص الموشح الفنية : اغراض الموشح ، أسلوبه الفني مبني ومفني .
- ٤٥ - تألق الموشح : نشأة الزجل . الشرق يأخذ عن الغرب ٤٧ .
 هل اضمر الموشح ٤٨ . تعلق الناس به ٥٠ .
- ٥٢ - السابقون الى التوشيح : محمد بن حمود ٥٣ ، مقدم بن معاني ،
 ابن عبد ربه ، ابن القزاز ٥٤ . الرمادي ، ابن ماء السماء ٥٥ .
 ابن سناء الملك ودار الطراز ٥٦ .
- ٩١ - عباقره التوشيح : ابن عبد ربه ٩٣ . الرمادي ٩٥ . ابن ماء
 السماء ٩٦ . ابن القزاز ٩٧ . الحصري ٩٨ . ابن بقي ٩٩ . الأعمى
 النبطي ٧٢ . ابن باجة ٧٤ . ابن زهر ٧٥ . ابن سناء الملك ٧٧ .
 ابن سهل ٧٨ . لسان الدين بن الخطيب ٧٩ . ابن زمرك ٨١ .
- ٨٣ - حول الموشحات : آراء علماء الشرق والمستشرقين : كرد علي
 فيلاسبا ٨٤ . شوقي خيف ٨٧ . وآراء الهنداوي والحضي
 وابن سأم وديمونين واشباخ ٨٧-٩٠ . ٩١ - الخاتمة

فن التوشيح

طه نوح النجدي

انطلقت عبقرية العرب الشاعرة في الأجواء الاندلسية انطلاقاً
لم تكن لتعرفه من قبل في رحاب الشرق ، حينما كان يشغلها ما هي
فيه من قيود الوزن ، والقافية ، ووحدة البيت ، وانسجام الفكر ،
وتوازن المعاني ، ودقة الأداء في الكلام ؛

وتهاياً امتلك العبقرية في الأندلس من آفاق الغنى المستفيض
والنعمة الهائلة ، ولذة الوافرة ، والطرب المثير ، ما لم يكده
يعرفه المشرق على ذلك المقياس من الغزارة والاتساع .

فكان جديراً بتلك العبقرية أن تسجل صورة ذلك الزمن
الرافقه ، وتلك البيئة الطروب ، وأن تستجيب للتطور الذي ألفه
الأدب العربي على الأيام .

وهكذا جاءت العبقرية الشاعرة في أجواء سمحة ، وطلعت
على الناس بأدب موشع ، حطم كثيراً من القيود في الشعر .

ولكن هذا التجديد لم يكن بدءاً في الفن، ولا مرتجلاً في
الاسلوب، فقد ظهر في شعراء العربية المشاركة أيام بني العباس
من كان ينزع إلى التجديد في الاسلوب، ويبحث عن الحرية في
النظم، رغم ما عرف به المشرق من أناة في التطور الادبي،
وحفاظ على الطريقة الموروثة في القصيد، فكان أولئك النازعون
الى التجديد طلائع الانطلاق؛ ولو تهيأ لهم ما تهيأ للانداسيين
من بُعدٍ عن تيار المحافظة، وانغماس في اللهو والهوى، وازدهار
في الفناء والطرب، مع الطبيعة الساحرة، والثروة الوفيرة، لو تهيأ
كل ذلك لأوصلتهم الخطأ إلى الموشح أو إلى شيء يشبهه .
وإذا عدت إلى تطور الأدب العربي وما رافقه من مظاهر فنية،
القيت في طبيعة الأدب نزوعاً إلى التجدد في الاسلوب والاعراض
فمن تلك المظاهر الفنية المتجددة ثورة طائفة من الشعراء
على المطالع الموروثة، من وقوف على الاطلال وبكاء للاحبة،
ونزوعهم إلى معالجة الموضوع رأساً، أو التهيؤ له بما يناسبه من حكمة
أو وصف أو غيره، مما عد خطوة في تجديد المطالع، كقول أبي نواس

لا تترك هندا ولا تطرب الى عدو واشرب على الورد من حراء كالورد

وقوله : (المقد ٢/٤)

طاج الشقي على رسم يائه
يكى على طلل الماضين من اسد
ومن تميم ومن قيس ولقهما
لا جف دمع الذي يكى على حجر
وعجت أسأل عن خارة البلد
لا در درك قل لي من بنو أسد؟
ليس الا طرب عند الله من احد
ولا صفا قلب من يصبو الى وتد

وقول ابي تمام :

السيف اصدق ابناء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وكان من مظاهر التجديد في الاسلوب تلك العناية الفائقة
بأنواع المحسنات البديعية المختلفة ، لفظية ومعنوية ، وكثرة الاعتماد
على الصور والاستعارات والكنايات والتجسيم والتشخيص في اداء
الافكار ، مما أشرنا اليه في كتابنا عن ابي تمام ،

وكان من مظاهر التجديد في الأغراض والاوزان ما نظم من
الاقاصيص والامثال والحكم في مقطوعات او مزدوجات : كل شطرين
منها على قافية واحدة ؛ فقد ورد ان ابان بن عبد الحميد اللاحي نظم
كتاب كليلة ودمنة شعراً ، ونظم ابو العتاهية قصيدته ذات الامثال
في اربعة آلاف مثل ، كما ذكر صاحب الاغانى ، وفيها يقول :

حسبك مما تدغمه القوت^١ ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمني أو فذر^٢ ان كنت أخطأت فما أخطا القدر
ان الشباب والفراغ والجدمة^٣ مفسدة للمرء أي مفسده
ان الشباب حجة النصاي^٤ روائح الجنة في الشباب

وخلد اديب الاندلس الكبير ابن عبد ربه غزوات الخليفة
عبد الرحمن الناصر ، وما أفاض على البلاد من أمن بعد حرب ،
في منظومة مزدوجة حاكي فيها طريقة أبي العتاهية في ذات
الأمثال ، فوصف الحياة الاجتماعية والحربية وما كان من أخلاق
الناصر الكريمة ، وحمته الرفيعة ، وسخائه الغمر ، وحروبه
المتواصلة ، واستيلائه على المدن ، وتدرج في ذكر كل ذلك بحسب
السنوات التي ولي فيها مقاليد الحكم في الاندلس ؛ وهي مزدوجة
طويلة تقع في أكثر من اربعمائة بيت فكان مما قال فيها :

(المند ٣ / ٢٠٩ - ٢٢٧)

مؤيد حكمت في عدائته سيفاً يسيل الموت من ظلماته
قد اشرقت بنوره البلاد واقطع النشيب والفساد
هذا على حين طغي النفاق واستفحل التكاب والمراق
وضاقت الارض على سكانها واذكت الحرب لظى نيرانها

فأ تَلَدَ مَقْلَةً بِتُومٍ	تَأْخُذْنَا الصَّبِيحَةَ كُلَّ يَوْمٍ
طَبَقَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ	حَقٌّ أَنَا الْفُوتُ مِنْ ضِيَاءِ
وَجَابَ عَنْهَا دَامَسَاتُ الظَّلْمَةِ	هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الْأَمَةِ
وَنَقَّرَ السَّيِّدَ وَالْمَسُودَا	فَجَمَعَ الْأَجْنَادَ وَالْحَنُودَا
فَكَانَ وَقْنَا بِالْهَ مِنْ وَقْتِ	حَقٌّ تَدَاعَى الْقُرْمُ يَوْمَ السَّبْتِ
وَقَدْ عَلَا التَّكْبِيرُ وَالصَّبَاحُ	فَاشْرَعَتْ بَيْنَهُمُ الرِّمَاحُ
وَفُتِرَتْ أَفْوَاهُهَا الْخُتُوفُ	وَفَارَقَتْ أُنْحَادُهَا السِّيُوفُ
	وَنَخْتُمُهَا بِقَوْلِهِ :

وَقَدْ شَقَى الشَّجِيءُ مِنْ أَشْجَانِهِ	ثُمَّ نَحَى الْأَمَامَ عَنْ عَنَانِهِ
وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ أَرْجَاسِهَا	وَأَمَّنَ الْقَفَارَ مِنْ إِجْجَاسِهَا

وكان من منازع الشعراء الى التجديد تلك المسططات التي
تتضمن أحياناً ثلاثة اشطر على قافية واحدة ويكون الشطر الرابع
هو المتبع في السيمط الى منتهاء ، مثل قول بعض المحدثين .

وَشِيئَةٌ كَالْفَنَمِ	غَيْرُ سَوْدٍ لِلنَّمِ
دَاوِيْنَهَا بِالْكَمِ	ذَوْرًا وَبِهِنَانَا

وقالوا في تعريف المسطط من الشعر : إنه آيات مشطورية
تجمعها قافية واحدة ؛ وقيل هو ما قُفِّيَ أرباع بيوته وسَمِطَ في
قافية مخافة ، كما رأيت في المثال المتقدم ؛ وقال الليث : الشعر المسطط :

الذي يكون في صدر البيت آيات مشطورة أو منهوكة مقفاة
ويجسمها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضي ، قال : وقال
أمرؤ القيس في قصيدتين سمطيتين على هذا المثال ، بسميان
السمطين ، وصدر كل قصيدة مصراعان في بيت ، ثم سائر ذو سموط
فقال في أحدهما :

ومستظم كشتت بالريح ذيل اقت بضرب ذي سفاق مبدل
فجئت به في ملتقى الخيل خيل تركت عناق الطير تحجل حواء
كان على سر باله نضج جريال

وأورد أن برقي مسطط أمرى القيس :

توهمت من هند معالم الطلال عفا من طول الدهر في الزمن الخالي
• • •
مرايح من هند خلج ومصايف يصبح بمنائها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسفر ثم آخر رادف
بأسحمت من نوء السهاكين هطال

وأورد أن برقي لا آخر :

خيال هاج لي شجنا قيت مكابداً حزننا
حميد القلب مرهناً بذكر اللهو والطرب

ستني ظيئة عطلى كان رضاها عسل
ينوء بحصرها كفل بفيل روادف الحقب
يحول وشاحها قللاً * * * اذا ما ألبست شفا
رقاق العصب أو سرقا من الموشية القصب
تبيح المك مفرقها * * * وبصي العقل مطلقها
وتنمي ما يؤرقها مقام العاشق الوصب^(١)

وليس الدوبيت (البيتان) غير مظهر آخر من مظاهر

الاطلاق وذلك مثل قول ابن الفارض :

أهوى قرأ له المعاني رق من صبح جبينه أضاء الشرق
تدري بالله ما يقول البرق ما بين نايه وبني فرق

وقول الآخر :

ن جئت ربا الحى ولاحت نجم فاذكر ولحي وما جناه البعد
قد كنت أقاسي البعد حتى رحلوا يا ليتهم عادوا وعاد البعد

فهذه وغيرها مما بسطنا عنه الكلام في « فنون الشعر »

محاورات للاكلات من القيود القديمة ؛ وإذا كان بعض
الفحول من الشعراء لا يرون في هذه المظاهر دليلاً على قوة

(١) انظر لسان العرب ٩ / ١٩٦ ، وكتابنا عن فنون الشعر

الشاعرية ، والتمكن من القريض ، فتعد كان فريق آخر يرى أن التطور الفني يقتضي تجنب الشعر بعض قيوده القديمة التي يزرع تحت أثقائها ، وأنه لا بد من تطور فيه للدليل على الحياة ، لأن كل شيء لا يتطور فناء مرده إلى الهلاك ؛ وما هي ذي الحياة العباسية نفسها قد أخذت بالتطور والانطلاق في كثير من المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية والمعاشية ، وإذا كان الشعر ، وهو صنو النثر ، وأحد فرعي الأدب ، إذا كان مرآة تعكس مشاهد الحضارة الجديدة ، فما أجدره بأن يسارق الزمن ، ويسير الركب ، فيتأثر بتألق الحياة الجديدة ومنازعها في الحرية والمذاهب المختلفة .

ولكن الحياة في الشرق العربي تصطدم دائماً بالآثار الموروثة الذي ينظر إليه أبناؤه كأنه عنصر من عناصر البقاء والخلود ، أضف إلى ذلك أن البادية الرابضة على أبواب الحضارة الجديدة هي مهد العربية ، ومعقلها الحصين ، يرتادها الفصحاء ، ويحج إليها العلماء ، وتهب منها نفحات البداوة العربية الخالصة ، فتشير في

قلوب المشاركة رئيس الحنين اليها ، وتؤثر فيهم نار الحفاظ على
 لغتها وطريقتها ، ولذلك كان من العمر والشدة أن يشق الشعر
 طريقه المتجددة في مثل هذه الرحاب ، ولكنه حينما غرت وحط
 رحاله في الانداس بعيداً عن تلك التواضع المحافظة ، قرباً من
 المؤثرات الاعجمية المختلفة ، كالعادات واللغة ، أخذ يرقل في
 مطارف التنبق والتهذيب ، ويحلق في آفاق جديدة ملهمة ، فكان
 ما رآه في الدنيا الجديدة مدعاة الى التعلل من كثير من القبود ،
 وإذا به يخرج على الناس في حلة جديدة من خالص نسج الانداس
 هي حلة التوشيع التي لم يعرفها المشرق قبل المغرب ، وقد اعان على
 تكوينها نهضة جبارة في الغناء والالحان ، نهيات للاندراس بفضل
 طبيعتها الجميلة ، وترفها المنرق ، ورحيل كبار المغنين والمغنيات اليه ،
 امثال زرياب والجواري فضل وعلم وقلم وقر والمجفاء ؛

الموسم ومردود الفنية .

فتنظم المذنون والشعراء الاندلسيون والمغاربة تلك الموسحات
 وجعلوها « اسماءً اسماءً » . واغصاناً اغصاناً ، كما يقول ابن خلدون ،

واكثرها منها ومن اعاريضها المختلفة ، وسموا المتعدد منها بيتاً واحداً ، والتزموا عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الاغراض والمداهب ،
(المقدمة ص ٤١) وسموا هذا النوع الجديد باسم الموشح نحو :

جزء
(قفل) : أَدِرْ لَنَا أَكْوَابَ . يُنْسَى بِهَا الْوَجْدُ . وَاسْتَحْصِرِ الْجَلَّاسَ . كَمَا اقْتَصَى لُودُ

• • •

جزء

دِينٌ بِالْأَصْبَا	شُرْعَا	مَا عَشْتُ	بِأَصَاحِ
وَنَزَاهُ	السَّمَاءِ	عَنْ مَنْطِقِ	الْأَلَاحِ
فَالْحَكْمُ	أَنْ تَسْمَى	عَلَيْكَ	بِالرَّاحِ

• • •

(قفل) : أُنَامِلُ الْمَدَابِ . وَنُقَلِّكُ الْوَرْدَ . حَبِّ بَصْدَغِي آمَسَ . يَلُوبِهَا الْحَدُّ

• • •

لِلَّهِ	أَيَّامُ	دَارَتْ	بِهَا الْحُرُ
وَالرُّوْضُ	بِأَمِّ	بِأَكْرَمِ	الْعَطَرِ
وَصَلَ	وَالْمَاءُ	وَأَوْجُهُ	زُهُرُ

فمنعنا بالصحاب . قد ضمنا عقد . ويا ابا العباس . لا حانك الجد

حليفة	مكا	فيا ابو بكر
باب لنا عكا		في السهي والامر
لا تنق	ضنكا	من نوب الدهر

وانتم ارباب ما شيد الخد وان بلوما الناس فهم لكم صد

حليت (لنا) الدنيا	من بعد تعطيل
وجاء ما يحيي	بين البهايل
اغر بالعليا	من فوق تحجبل

يختال في اثواب طرزها الخد . واغرى الايباس فالا له حد

يدنا انا شارب	للقهوة الصرف
وبين آنا تايب	لكن على حرف (١)
اد قال لي صاحب	من حلبة الطرف

ندمنا قد تب نحن له واشد واعرض عليه الكاس . عساه يرتد

(دار الطرار ٤٧-٤٨)

(١) أي توبة غير ثابتة ولا متينة واقرب الى الارتداد ، واحسب

في الكلام اشارة الى آية من القرآن الكريم : « ومن الناس من يعبد

الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابه فتنة انقلب

على وجهه ، خسرو الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، (الحج ١١)

فالشطر الأربعة الأولى التي بدأ بها الموشح تسمى (قفلاً) وقد تألف الفول هنا كما ترى من أربعة (أجزاء) انتهى كل (جزء) بروي خاص (كواب - الوجد - الجلاس - الود) واذن فالموشح هنا مبدوء بقفل مؤلف من أربعة أجزاء ، وإذا عدت تنظر في الموشح رأيت بعيداً عنه قفلاً آخر وهو (أامل العيب - وقلك الورد - حب بصدغي آس - يلويها الحد) وقد التزم في هذا القفل ما التزم في القفل الأول من الروي ، ومن عدد الأجزاء ، ومن الوزن .

وهكذا تجد القفل الثالث :

(فمن الأصحاب - قد ضما عقد - ويا أبا العباس - لا حاكك الجد) فقد التزم فيه ما التزم في الأول من الروي ، وعدد الأجزاء ، ولوزن ، واذن فاقفل يبق المثال الذي يجب أن يعتمد عليه في الموشح بالمحافظة على عدد أجزاء ورويه ووزنه .

وإذا نظرت بين القفل الأول والقفل الثاني وجدت ستة اشطر يسمى مجموعها (بيتاً) ولكنه في الواقع ، وبالنسبة لما تعرفه من علم العروض ، مؤلف من عدة أبيات وإنما

المصطلح عليه في الموشحات ، ان نسمي ما بين القفنين (بيتاً)
ولو كان مؤلفاً من عدة اشطر .

فاذا نظرت في البيت وجدته مؤلفاً من ثلاثة اجزاء :

الجزء الاول منه هو : دن بالصبا شرعا ما عشت يا صاح

والجزء الثاني منه هو : وزه السما عن منطلق اللاحى

والجزء الثالث منه هو : فالحكم ان تسمى عليك بالراح

فاذا اخذت الجزء الاول منه وجدت له نوعين من الروي :

في الفقرة الاولى (شرعا) وفي الفقرة الثانية (صاح) وقد

الزمها الوشاح ، فهذه اذن اصول البيت : وهي ان يتألف من

اجزاء وفقرات ويكون عدد مايجيء به الوشاح ووزنه ملتزماً في

بقية الايات ، اما الروي فلو شاح الخيار والحربة في التزامه

وعدمه ، والافضل ان يكون الروي مختلفاً في الايات ، وها هو ذا

الوشاح يقول في البيت الثاني (بين القفنين الثاني والثالث)

لله	ايام	دارت بها الحمر
والروض	بسام	باكره القطر
وصل	والمام	واوجه زهر

فأنت ترى أنه لم يلتزم الروي الذي التزمه في البيت الاول ولكنه التزم الوزن وعدد الاجزاء .

وستنتج بمقتضى ان روي أعاريض الاقفال وضروبها وعدد اجزائها واوزانها واجبة الالتزام في الموشح ، وهي الاصل الملتزم والاساس الذي يحتفظ به ، بينما لا يلتزم في الايات غير عدد الاجزاء (بما فيها الفقرات) والاوزان ، واذا ذكرت ان القفل في الموشح المتقدم مؤلف من اربعة اجزاء ، فذكر الى جانب ذلك ان القفل في صنعة الموشحات لا يكون اقل من جزأين كقول بعضهم :

شمس قارنت بدرأ واح ونديم

والمشاح ان يبني قفله على اجزاء متعددة قد تبلغ الثمانية ، وربما بلغت الاجزاء التسعة او العشرة ، ولكن ذلك قليل نادر ، وعلى كل حال فاذا كان القفل الاول مؤلفاً من عدد من الاجزاء معين وجب ان تكون اقفال الموشح كلها مؤلفة من العدد نفسه ، ويندر في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعمل عليها ان تكون أقفالها مختلفة اعداد الاجزاء ، كأن يأتي القفل الاول مؤلفاً من جزأين وبقيّة الاقفال من ثلاثة .

وجرت العادة ان يبدأ الموشح بقفل ثم ينهي بقفل وأن
يتردد القفل في الموشح ست مرات وعندئذ يسمى الموشح
(تاماً) فإذا لم يبدأ الموشح بالقفل وإنما ابتدأ بالبית سمي
الموشح (أفرع) وعلى هذا فالقفل اذن يتردد خمس مرات في
الموشح الأفرع وست مرات في الموشح التام .

فلننظر في موشح أفرع (لابن مناة الملاك ٩٦) مبدوء

بالبیت ، ولكنف بقسم منه :

دانت لي الدنيا	وواصل الوصال
من هو لي محبا	وصار لي خلا
لا اسمم النيبا	فيه ولا العذلا
ما اعطر القفيا	له وما احلى

ذلك الحلس . من العمس . او اللبس . لقد كمل . بدر طرق
مثل الفلق . تحت العسق . حتى سرق . ألبس . اهل الصواب

ما مال حتى صاد	بطرره	الوسنان
وصير	الأساد	فرائس العزلات
واخلف	الميعاد	واخجل السلوان
حبيبته	الوقاد	إن شيت والفتان

فيه قيس . تحت العمس . وقد حرس . ورد الخجل . بل رشق
حتى ابق قلبه عرق . فالحقد . شباب . بها نصاب

هذا الموشح كما ترى (اقرع) لانه مبدوء بالبيت لبالقفل ،
وكل قفل فيه مؤلف من عشرة اجزاء ملتزمة الروي والوزن
مع التزام العدد .

اما ابياته فرددت في أصل الموشح خمس مرات ، وكل بيت
منها مؤلف من اربعة اجزاء ، وكل جزء مؤلف من شطرين
او فقرتين .

والفقرة في الاصل اما أن تتألف من القافية او الروي في كلمة
واحدة واما ان تنضم اليها بعض الكلام القليل المنظوم قبلها ، فمن
ذلك قول ابن سناء الملك (١٠٥) في البيت المؤلف من ثلاث
فقر وثلاثة اجزاء (والبيتان بين ثلاثة أفعال) :

(قفل) صافي . يا حنة الحلة . يا فتنة الناس . يا دعوة المظلوم

حبيبك . قد اشنعت مني . ولا اقول حسي
قرئك . يا غاية النخي . ومية المحب
فديك . ضى ولم يعدني . ولا رى لقي

عدي . فمت الوعد . لان وسواسي . يقول بالممدوم

عقلي . سببه باظر . يحبي كما يحبت
شامي . شفته باظر . من نمر الشيت
قل لي . ان كنت غيردا كر . عهدي وقد نسيت

إني . . . باقير على العهد . . . لكنني ناسر . . . لسرنا المكتوم
واعلم بهذا هذا ان البيت يؤلف على الأغلب من ثلاثة
اجزاء ، ويمكن أن يؤلف من جزأين ، ويندر أن يكون من
ثلاثة أجزاء ونصف ؛ وقد رأيت ان الأجزاء التي تؤلف البيت
تتألف من فقرات ، فقد يكون جزء البيت مركباً من فقرتين
او ثلاث او اربع فقرات ، وقد يكون الجزء مفرداً غير مؤلف
من الفقرات .

وهناك موشعاً أقرع ، بدأه الوشاح بيت مؤلف من ثلاثة
جزاء وكل جزء فيه اربع فقرات ، ومن النظر في الفقرات
الآتية يتبين لك ان الفقرة تكون القافية وحدها حيناً ، ونظم
اليها بعض الكلام المنظوم المرزون حيناً آخر ؛ يقول الوشاح :

(عنوانه : انتمال كما ذكر اس حنون في المقدمة ٥٤٢ ، ويصحح بن ساء
المقدمة في عهد بن ساء المرفوف باسم المزاركا في المجلد ٢٩٩/٢ ولا يفسده
بن ساء اللك لاحد شأنه في الموشحات التي سبها عن غيره في كتابه دار الطرار
ص ٦٥) .

باني . . . ظبي حنى . . . تكلمه . . . اسد غيل (جزء به فقرات)
مدهي . . . وشف كلى . . . قرقعه . . . سلسيل
يستى . . . قلبي بما . . . يعطيه . . . اذ يميل

قل } ذو اعتدال . يعزى الى . ذي نعمة نالت
 { في طلال . تحت حلى . بطرالى دى نالت

ذو فتور . ذو غحج . ذو مرشم . العسر
 العبير . في ارج . والحسن في . ملدس
 كم يشير . وجد شج . بالدف . مكنس
 ذو اعتدال . لو عللا . اطلق عن ساكت
 وغرال . لو مقللا . ألط عن باهت

واعلم بعد هذا أن البيت اذا كان يتألف من فقرات ، فان
 القفل لا يتركب منها أبداً ، وانما يتركب من اجزاء ، والجزء
 من القفل لا يكون إلا مفرداً ، بمعنى انه وحدة مستقلة ؛
 واذن فاولو فعال تنبيه : تألف الاجزاء فقط ، واما الاوبيات
 فتنبه : تألف الاجزاء المؤلفة من فقرات متعددة او مفردة غير
 مركبة ، والالتزام يقع في الوقفال على الوزن والقوافي وهما
 الاجزاء ، ويقع في الاوبيات على الوزن وهما الاجزاء ، ويحسن
 التوزيع في القوافي .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان بعض الوشاحين الماهرين
 كانوا يخالفون القاعدة الاصلية حيناً في وجوب التزام الوزن

الواحد ، في الاقفال والبيوت ، ولا يقدم على هذا إلا البارع
في صناعة الموشحات ، العارف بايقاع الألحان ، فمن ذلك
قول ابن مناة الملك :

وإبدى مدر تهر فوق غصن	غزال قر من جنات عدن	بيت
فقل للبدر مدر الأفق عني	وولتى آخداً لاملق مني	
فكرب لطرفي نائب	ان بدري عائب	(قفل)
واغواني ووالدي الرشيد	شقيت به وقيل لي السعيد	
وقاصر من شبائل الشهود	امير من مماله الجود	
لقد علا اعل المراتب	وكرم كاتب	

على ان هذا الخروج عن التزام وحدة لوزن في الاقفال
والآيات قليل نادر .

وبعد فاذا نظرت إلى أي موشح كامل وجدته ينتهي
(بقفل) ، وهذا القفل الأخير من الموشح يسمى (فرجه) .
ويشترط الأولون ان تكون هذه الخرجة حلوة عذبة ،
نحلب الألباب وتهز النفوس ، يفتقل اليها الشاعر عن طريق
(قال) او (قلت) او (غنى) او (غنيت) على لسان
الطير او الحب او السكران او غير ذلك .

فن ذلك قول عبادة التراز على لسان الحمام في موشح مدح فيه المنتصر
ولم يند الأساسيين واتقى فيه إلى قوله :

حاراً يحكم	•	اعتيت شديداً	الآن
إلى همم	•	جازت أميداً	•
كل الأمام	•	بذاك يعتد	
ففي الكرام	•	كلاهما فرد	
ان الحمام	•	في أيديها تشدو	

قل هل علم • أو هل عهد • أو كان
كلمتهم • والمتخذ • ما كان

ولهم في الخرجات رأي غريب ، وها هو ذا ابن سناء الملك
يقول : « والشرط فيما (أي الخرجة) أن تكون حجاجية من
قبل السخف ، قُزماية من قبل اللحن ، حارة محرفة ، حادة
منضجة ، من الفاظ العامة ولغات الدائمة^(١) فان كانت معربة
الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقوال
خرج الموشح من أن يكون موشحاً إليهم إلا أن كان موشح
مدح وذكر المدوح في الخرجة فانه يحسن أن تكون الخرجة
معربة . . . » (ص ٣١)

(١) الدائمة جم الدائس وهو اللس . أشهر من مدح في المشرق
منشور والهزل ، واس قرمان واللحن والزجل في المغرب .

وإذن فإن كان الغرض من الموشح مديحاً أو كلام بجد ، فلا بد من مراعاة القواعد النحوية والصرفية في الخرجة ، وإن كان الغرض لهواً أو مجوناً أو تندرأ فلا بد من أن يجول الشاعر بحال المجان من الشعراء الذين لا يبالون أن يتعرضوا إلى الدعارة والفسوق في أفوالهم وأن يخرحوا على القواعد النحوية المألوفة أو الكلمات الصحيحة ، ومن أجل هذا كثرت ألقاظ العامة وسخفهم وطريقتهم غير المعربة في كثير من الموشحات وفي الخرجات خاصة ، وإذا كان ابن سناء الملك قد ذهب إلى أن تلك الطريقة أصل في الموشح وأنه لا بد من سلوك ذلك الملك من اللحن والتحلل من القيود فإت الإيشيبي (٧٩٠ - ٨٥٢ هـ) قد أنكر اللحن على الوشاحين ورأى أن الموشح والمروض والدوييت يجب أن تكون معربة أبداً ولا يفتقر فيها اللحن (المستطرف ٢/ ٢٧٧)

كما ورد من المرحات العامة قول ابن جني : (٣٢ و ٧١ دار)

أنا	وانا	أسوة هذا العجور
بالصبر	بفتا	مع انصداع العجور

وما رحلتنا	غنى الجوى في صدري
سافر حبيبي	سحر وما ودعتو
يا وحش قاي	في الليل إذا انكرو

وكان المتقدمون ينصحون بأن ينظم الشاعر الخرجة قبل نظم الموشع ، لتكون الخاتمة مهيأة بما فيها من طرافة أو سخر أو مجون أو تصريح بما لا يرضى من القول ، فإذا لم يتبها له شيء من المعاني الصريحة أو المجون الظاهر في خرجة مناسبة فلا بأس بأن يستعير من شعر غيره ما يوجب أو يطرب ، فيتخذ خرجة لموشعه من قبيل الاستعارة والتضمين ، وهذه الطريقة عندم أصوب وأفضل ممن يحد ويحرب ، فلا يخف ولا يطرب ، وإذا لم يجد ما يناسبه في العربية الملهونة ، فلا لوم عليه ان يستعير ذلك من الأعجمية أو العامية ، كل ذلك جرياً وراء المعنى السوقي ، واللفظ الصريح ، والفكرة الغريبة ، أو الأدب المكشوف ، ومراعاة المذوق الذي فسد بحكم اللحن فيه ونبوته عن الفصحى ، وقد دللنا أديب الأندلس الكبير ابن شهيد الذي عاش في القرن الخامس على مبلغ ما وصل إليه انتشار

الاحن حين قال عن عصره إنه « ليس لسيدويه فيه عمل
ولا للفراهيدي إليه طريق » . رساله التوايع والترواح في لحدية (٢٢٩/١)
فن الخرجات الجيدة المستعارة ما تراه في آخر هذا الموشع
الذي يتركب قفله من جزأين وبيته من ثلاث فقرات .

شمس قارنت بدرا راح ونديم
أدراؤس الحمر عنبرية النثر إن الروض ذو بشر
وقد درع السهرا هبوب النسيم
وسلت على الأفق يدُ الغرب والشرق سيوفاً من البرق
وقد أضحك الزهرا بكاء الميوم
ألا إن لي مولى تحكمت فاستولى أما إنه لولا
دموع تمضح السر لكنت كنتوم
أنى لي كمان ودممي طوفان شبت فيه نيران
فن أبصر الجرا في الج يوم
إدا لامي فيه من رأي تحية شدوت أغنية
(لعل له عذرا وأنت تلوم)

فهذا الموشع يتضمن ستة أفعال ويبتدي بواحد منها وفيه
خمسة أبيات فهو موشع تام وفي آخر البيت الخامس سبيل
النوصل إلى الخرجة وهو قوله (شدوت أغنية) وهذه الخرجة

التي انتهى بها مستعمارة من الشعر القديم يتمثل بها في أماكن
 الاعتذار عن اللوم : لعل له عذراً وأنت تلوم :
 ولابن الوكيل موشح أخذ له اعجاز قصيدة ابن زيدون
 المشهورة وجعلها خرجات فقال :

يا صاحب السجوى قف واسمع مني
 ياك أن تهدي إن الهوى يضني
 لا تقرب السلولى اسمع وقل عني
 بحارة مرة خضنا على غرة
 حيناً فقام بنا للدمى ناعينا

من هام بالغير لاقى بهم هما
 بذلت مجهودي لأحورى ألى
 هم باللود ورد ما هما
 وعندما قد جاد بالوصل او قد كاد
 أضحي النسائي بدلاً من تدانينا

(نظم الطيب طبعة الرفاعي ٢٢٤/٥)

وكان ابن المعتز قال في قصيدة له :
 علموني كيف أسلو وإلا فاحجبوا عن مقلقي الملاحا
 فجاء ابن بقي وهو أحد الوشاحين المشهورين ، وجعل البيت
 خرجة فقال في آخر موشحة له :

لست اشكو غير هجر موصل

مذ منعت القلب عن عدل عادل

وتغيت لهم قول قابل

علموني كيف اسلو ولا فاحجبوا عن مقلتي الملاحا

واستعاره الأبيات من الشعر الموشح لا يقف عند الفصل

الآخر، فرعا عهد الموشح إلى أخذ بعض الألفاظ من الشعر

القديم ليجمعها في بيت من أبيات موشحه، وهذا كدهاجم

يقول :

يقولون ت والكأس في كم أشيد وصوت المثاني والمثالث طار

فقلت لهم لو كمت اصبرت تونة وابصرت هذا كله لبدالي

فقل ابن بقي، وحل في موشحته هذين البيتين وجعل

الاستعارة ضمن الموشح :

قلوا ولم يقولوا صواباً

انيت في المجون الشبابا

نقلت لو نويت متابا

والكأس في ميم غرالي وصوت في المثالث طار لبدالي

الاسماء والافعال والنظم

وإذا عدت بعد هذا تنظر في تركيب الموشع وترتيبه ، وكيف يبدأ بالقفل ، وبمقبة البيت ، ثم يتداول النظم ما بين أمور أساسية ملتزمة ، وفروع يلتزم فيها شيء ، ويطلق شيء آخر ، إذا نظرت في ذلك تبين السبب في تسمية بعضهم القفل (باللازمة) لما يلتزم فيه من الروي والوزن والعدد في جميع الأفعال ، وتسمية البيت (بالدور) لأنه يدور فيأتي غيره مكانه مما هو غير ملتزم الروي في المصدر والمجز ، كما أنك تستبين ما عناه ابن خلدون في مقدمته حين قال عن الموشع : « ينظمونه أسماطاً أسماطاً ، وأغصاناً أغصاناً ، بكثرون منها ومن أعاريفها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ، ويأتممون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القصعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب . ويظهر لك من كلام ابن خلدون أن في الموشع أيضاً نوعين من التسمية هما الاسماط والأغصان ،

ويريد بها الاقفال والآيات بدليل قوله « إنهم يكثرون منها (أي من الأغصان) ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً » ، وقد رأينا كيف تعدد الأَشْطَر وتؤلف البيت ، ويظهر من قوله أيضاً أن الأغصان هي الأجزاء التي تؤلف البيت ، بدليل قوله « ويشتمل كل بيت على أغصان » .
فالأسماء إذن هي الأقفال ، والأغصان هي أجزاء الآيات ،

وهو ما نرجحه ، وإن كان بعضهم يرى أن السمط هو القفل والبيت معاً ، وينفي هذا الرأي ما ينشأ عنه من نتيجة . ذلك أننا إذا سلمنا بأن السمط هو القفل والبيت الذي يليه معاً ، فأن يكون الفصن ؟ ومنشأ هذا التردد ، أن الذين تحدثوا عن الموشحات من القدامى ، لم يحددوا الأسماء والأغصان بأكثر مما حدده ابن خلدون ، حتى أن ابن سناء الملك وهو من أوسع من تحدثوا عن صناعة التوشيح لم يحدد الأسماء والأغصان .

ومن الغريب أن يذهب بعض المؤلفين الأجلاء إلى تسمية مقلوبة فيرى أن القفل الأول هو الفصن ، وأن البيت الذي

بليه هو السمط ، وان القفل الثاني هو القفل ، وان مجمرع هذين
الاثنين (السمط والقفل) هو البيت ، وامل هذا راجع الى
عدم تبين عبارة ابن خلدون في بعض أماكنها الغامضة .
والناظر في أمثلة ابن مناه الملك العملية التطبيقية يرى وجه
الصواب الذي بسطناه ، ويجلو الغامض من عبارة سواه .
وأصل التسمية في الأسماء ترجع الى المعنى اللغوي في
السمط ، فهو الفلادة او الخيط فيه لآلى واحجار كريمة
أو خرز ثمين ، وقد شبهوا به القفل إذ كان كالفلادة في الموشح
وشبهوا الآيات بالأغصان ، إذ كانت متشعبة متفرعة ؛
وأما أصل تسمية هذا الضرب من الشعر باسم الموشح ، فلا شك
في أنه يعود إلى طريقة نظمه وترتيبه ، وتقسيمه إلى نظم ،
ومخالفته بين الأفعال والآيات ، جملاً وطراًفة ، فقد أوحى
هذه الأمور كلها ان تستمار كلمة التوشيح من اللمة ، إلى هذا
النوع من الشعر ، فأخذت الكلمة من توشيح الثوب إذا طرز

ووشي . ووضعت له الحجاراة الكريمة ، والوشاح : أديمٌ عريض
المسح ، يرصع بالخواهر واللاقي ، في نظمين متخالفين مطوف
أحدهما على الآخر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والتوشح
بالثوب هو أن يدخل الرجل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه
على منكبيه لايسر ، كما يفعل المخرم في الحج ، ثم يعقد طرفيهما
على صدره .

وعرف عن الموشحة من الطباء والشاة والعاير أنها ذوات
الطرفين من جابديها ، والوشحاء من الماز السوداء الموشحة ببياض ،
والديك الموشح هو الذي له خطتان كالوشاح .

ولما أتم ابن سناء الملك كتابه (دار الطراز) في عمل الموشحات ،
لاحظ معنى الموشح في اسم الكتاب ، فان أصل دار الطراز :
المصنع الذي تصنع فيه الثياب الحريرية الموشاة التي كانت تعمل
للأمراء والسلاطين ، كما سيأتي الكلام على ذلك فيما بعد .

أصل الموشح وتلوره

ولك أن تتساءل بعدُ ، عن هذا المنزع في الحرية الشعرية وكيف خرج به أهلوه إلى الكلام المملحون واللفظ الأعجمي الردي ، وما كان للشعر الذي أحب أن ينطلق من القيود القديمة ، أن يسف إلى هذا الموضع ، فيتبدل بالفصاحة عجمة ، وبالجهد هزلاً ، وبالجودة رداءة وإسفافاً .

وإذا كان اللحن قد شاع في ربوع الأندلس أيام الموشحات فما هو فيما أحسب أكثر ذبواً مما ترى في عصرنا الحاضر ، ومع ذلك فالتاس اليوم لا يرتضون من الشعراء مثل ما كان يرتضي الأندلسيون .

وأحسب أن سر ذلك الإسفاف ، كثرة الاختلاط بالأعاجم من أهل جزيرة الأندلس ، فقد كثر التزاوج بين الجنسين : العربي والأسباني ، واستسلم القناخ لمادات المغلوب ، وكثرت أنواع الملاحى التي أغرق فيها الشعب العربي ، والجبل المزيج ، واتصلت الأفكار بين العرب وغيرهم ، وكان أدب الأسبان

في ذلك العهد لاتذبأ برعاء الخواص ، وكان للأسبان عامية
نشأت عن الأصل اللاتيني ، كما نشأت لغات عامية ثانية في بلاد
الأفرنسيين والطيان وغيرهم ، وكان للعامية الاسبانية شعراء
يتفنون بأشعارهم التي ينقصبها السكال في الأوزان والقوافي ؛
وهنا يرى فريق من الباحثين ان تلك الاغاني الشعبية الاسبانية
التي كانت على مسمع ومرأى من العرب ، هي التي دعت
الفاحين الى أن يقلدوا في التحرر من القوافي والأوزان ، وان
يميلوا إلى الألفاظ الأعجمية الشائمة ، وساء عدم على ذلك ما وجدوا
في الشرق من محاولة الانطلاق من القيود الشعرية الموروثة ،
ويستدل الذين يقولون بتأثير الاغاني الشعبية الاسبانية على الشعر
في نشأة هذا الفن ان أوزان الموشحات لا تنطبق على أوزان
الشعر المعروفة ، وانها تعتمد على صنعة القناء أول ما تعتمد .
وإذا كانت الألفاني الشعبية الاسبانية غير موجودة الآن
لتصح المقارنة بينها وبين الموشحات ، فهناك مقطوعات شعراء
التروبادور الذين كانوا في جنوب فرانس في القرن العاشر

والخادي عشر ، فقد كانوا يفتنون بها ويتغزلون ويمدحون ويصفون ، إلا أنها كانت هزيلة المعاني لا تأزم القوافي الواحدة ، بل أنها لتغير بعد كل ثلاثة أجزاء أو ستة ، مع محافظتها على الوزن الذي ترد فيه أولاً .

وقد عاشت هذه الأناشيد في القرن الثاني عشر ، وهو العصر الذي عاشت فيه الموشحات ، ولذلك يغلب على ظن ذلك الفريق ان تكون أناشيد التروبادور موشرة في نشأة الموشحات ، أو على الأقل عاملة على تأييد بعض خصائص النواشيع ، من عامية وانطلاق ، فان ما عرفه الأندلسيون العرب من ذلك الغناء مع ما عرفوا من بدء انطلاق الشعر ، حمل فريقاً منهم على ابتكار الفن الجديد ، فبدأوا أولاً بتقليد الشرق في الانطلاق ثم نظموا للغناء أيام ازدهاره ، ما جمع بين خواص الشعر وال أغاني فكان فن الموشحات .

أوزان الموشح

يلاحظ قاري الموشحات أمراً مهماً في أوزانها ، إذ يراها خارجة على الأوزان المعروفة في كثير من الأحيان ، ولواقع أن الموشحات على ضربين : الأول منها ما جاء على أوزان العرب ، والثاني ما لا وزن له فيها ، ولا المأم له بها . فاما الضرب الأول ، وهو ما جاء على أوزان الشعر القديم فقسمان : قسم بقيت أفعاله وأبيانه موافقة لأوزان الشعر القديم فلم ترد فيها كلمة تخرجها عن تلك الأوزان ، فكان الشعاع لم يتحرر من الأوزان القديمة ، ولا استفاد من الرخص الجديدة ، ولذلك ترى بعض العلماء لا يعدون هذا شيئاً في فن الموشح ، ولا ينظرون إليه نظرة الاعتبار والتجويد ، وربما عدوه من قبيل المحسسات ، وقد يحتلون ذلك الموشح محل الاعتبار ولو كان طبق الوزن القديم اذا كانت أفعاله وأبيانه مختلفة القوافي ، فانه يخرج عن المحسسات ويعتبر موشحاً أصيلاً كالوشح المشهور : (٣) م

أها الثاني إليك المشكى قد دسوناك وإن لم تسمع
 نديم حمت في عرته
 وشرب الراح من راحه
 كما انيقط من مسكرته
 جذب الرق اليه واسكا وسقاني اربعا في ارام
 ويسمون أشباه هذا الموشح بالوشح الشعري اذ ينطبق كل
 الانطباق على بحر (الرمل) ، أحد البحور : ربيعة المعروفة
 ولا يخرجها عن هذا البحر حركة ولا كلة
 وأما القسم الثاني فهو ما التزمت فيه الؤزانة القديمة ولكن
 تخللت كلمة أو حركة أخرجته عن أن يكون طبق تلك الؤزان
 كقول الوشاح :

صبرت والصبر شعبة الثاني ولم اقل للعطيل هجراني معذبي كفاني
 فهذا من (المنسرح) لولا قوله : (معذبي كفاني) فانهما
 أخرجتا الموشح عن المنسرح ، ويسمى أشباه هذا الموشح بالوشح
 الشعري الذي أخرجته كلمة عن أصله ؛ ومثله :

ياوخ صبر الى الرق (ي) له نط وفي البكاء مع الورق (ي) له وطر
 فهذا من (البسيط) ، ولكن التزمت في الوسط قافية منجركة

بالكسر ، وتكلف الوشاح لها الى آخر الموشع .

ولو عدت نقرأ البيت مع مد حركة الكسر (آخر القاف)
وشباعها حتى نصبح ياءً لوجدت ان البيت لم يخرج عن
البسيط فهو موشع شعري أمرجه المخرجة عن أصله .

هذان هما القسمان من الموشحات الشعرية التي تنطبق على
الأوزان القديمة ، ويلاحظ في هذا المقام أن الوشاحين كانوا
يعتمدون في الموشحات الشعرية على البحر الخفيفة أو القليلة
الاستعمال كالرمل والمزرح والمضارع والمقتضب والمجث .

وهناك ضرب ثانٍ الموشحات وهو ما يدور وزن له من
أوزان الشعر الغرهم ولا التام له بها ، وهو الأكثر عدداً في
الموشحات ، البعيد حصراً في الأوزان .

وهذا الضرب لا يعرف إلا بالتأحين ، ولا يعلم صحيحه من
مكسوره إلا في الغناء به على الأَرغَن ، وهو الأصل ، أو على
غير الأَرغَن ، وهو مستعار .

وكان ابن سناء الملك قد حاول أن يضع لهذه الموشحات المنحرفة من الأوزان القديمة ضوابط وأوزاناً خاصة ، فاعجزه ذلك ، وجاء أخيراً المستشرق الألماني (هارتمان) فحاول إرجاع تلك الأوزان إلى ستة وأربعين ومائة وزن أو بحر ، مشتق من البحور أو الأوزان العربية المعروفة من قبل ، ولكن ذلك كان من قبيل النسكاف أولاً ، ثم انه لم يستطع أن يمحصر كل الموشحات المعروفة ضمن نطاق من الأوزان المقررة ، إذ بقي كثير من الموشحات لا تخضع للأوزان التي أوجدها ، والسبب في ذلك كونها في الأصل متعلقة بالتلحين والغناء كما مر ، فتجد الآيات في بعض الأحيان على أوزان الاقوال ومن أبحرها ، وتجد في بعض الأحيان الأخرى تبيناً بين أوزان الاقوال وأوزان الآيات ، بسبب ما تقتضيه صناعة الغناء والالخان مما كان يعرف في أيام ازدهار النواشيع ، فصنعة الغناء إذن هي الميزان الذي توزن به الموشحات المضطربة الأوزان المختلفة الالخان ، وكان اللحن الموسيقي وحده هو الذي يعدل من اضطراب الموشح ، كما كان

الدوق الفني وحده هو الذي يميز بين الصحيح والسقيم ، ومن هنا تبين ان من العمل الذي لا يجدي ان نستقصي الاوزان ونحصرها في هذا الفن ، وان نحاول اقامة أوزان مقررّة للنظم في الموشحات ؛ هذا ولا بد من الاشارة هنا الى اتّباع فريق من الوشاحين من بعض الاوزان المستحدثة والمشتقة من الاوزان القديمة ، ولندكر هنا المحاولات في ايجاد اوزان جديدة كالمستطيل المأخوذ من الطويل والذي وزنه (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) صرّين ، وكالممد (فاعلن فاعلان فاعلن فاعلان) صرّين ، وهو عكس المديد ، وكالممد ووزنه (فاعلان مستعملان) صرّين ، وكالمسرد ووزنه (مفاعيلن مفاعيلان فاعلان) صرّين ، وكالمطرّد ووزنه (فاعلان مفاعيلان مفاعيلن) صرّين .

فكان من هذه الابحر الجديدة مع الابحر القديمة المهمة أو المستعملة ، ثروة عروضية للموشح فضلاً عما كان يُعتمد عليه في صنعة الغناء من وزن ايقاعي .

خصائص الموشح الفنية

أغراض الموشح

تناول الموشح جميع أغراض الشعر من غزل ووصف ومدح ورثاء ، وهجاء ، ومجون ، وزهد ، وسمي ما كان لازهد خاصة باسم (المكثر) ، وجرت العادة في هذا النوع من الموشحات ألا يعمل إلا « على وزن موشح معروف ، وعلى قوافي أفعاله ، وإن يختم بخرجة ذلك الموشح ليبدل على أنه مكفّره ومستقبل ربه عن شاعره ومستفزه » كما يقول ابن سناء الملك ص ٢٨ . وشاع نظم الموشح في الفنون والأغراض المختلفة وتجاوز فيه الوشاحون الغاية من اللطف « فاستظرفه الناس — كما قال ابن خلدون ص ٥٤٢ — جملة ، الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقته » .

على أن هذه السهولة قد خرجت بالموشحات عن النظم المتين الرصين ، واللغة الحزلة القوية ، مما عرف به الشعر العربي

أيام اردهاره ، وأخذت اللغة الادبية في الموشحات ترتدي طابع
اللين والركة حتى نافت في بعضها مبالغ الركاكز، والهلالة ، بل
مبالغ الاعتماد على العامية الهريفة واللحن المغتفر المطلوب ، وتلك
غاية لا تحمد ، وإن كانت الغاية من الموشحات قبل كل شيء
استجلاء الطرب ، وإمتاع القلوب .

وشحنت الموشحات بأنواع الخيال المرح ، فكثرت الاستعارات
والمجارات والنشايه والكنيات والمحسنات اللفظية والمعنوية
كالنورية والجناس وغيرها .

وغنيت الموشحات بالانفاظ الموسيقية العذبة التي تسحر
بمعناها ، أكثر مما تؤثر بمعناها ، والتي تطرب بريقها ، أكثر مما
تعجب بصحتها ، فقد كان الانفاظ المطرب هو المقصود ، وإذا
تواتر الخلل على تراخ في المعاني وعدم ترابط بين أجزائها
فإن ذلك لم يكن عيباً ما دامت فكرة التخييل هي السائدة ،
وما دام الإيقاع الحسن هو المطلوب ، ولذلك تقف عند
بعض الموشحات وقفة من لا يجد بين المعاني وشائج وثيقة

تربط بعضها إلى بعض ربطاً محكمًا ، لأن التسلسل المنطقي في
العبارات ، والتتابع الفكري في المعاني ، لا يقصدان بمقدار ما يقصد
حسن توالي الكلمات ، وجمال جرسها الموسيقي ، وعذوبة وقعها
في النفس والأذن .



تألق الموشح

نشأته

لا ريب في أن تعدد الأوزان واختلاف القوافي ، والاعتماد على الألحان ، والضرب على الآلات ، والجنوح إلى المعاني الطريفة والأفكار الغريبة ، كل ذلك كان السبيل إلى أداء الغرض الذي ترمي إليه الموشحات ، من اشاعة الطرب في النفوس وإدخال اللذة إلى القلوب ، وهذا سر رواج فن التوشيح في الاندلس ، بلد الهوى اللعوب ، والعممة الوارفة ، ومنه انتقل إلى بلاد المغرب ، وعنها أخذ المشرق هذا الفن البديع ، ولكنه لم يلحق رجال الاندلس السابقين إليه ، وليس معنى هذا ان المشرق لم يجلّ في هذا المضمار ، ولا كان لشعرائه من التجويد فيه نصيب ، وهذا ابن مناة الملك المصري في دار الطراز ، يعقب على موشحات الاندلسيين بموشحات من نظمه ، وفيها ما هو من الفرر في هذا الفن ، فكأنما كان يتحدث المتقدمين بما جاء به ، رغم إظهاره للتواضع في مقدمة

كنايه ، واعتذاره بانه لم يأخذ هذا الفن من منبعه ، ويقول
ابن خلدون عن إحدى موشحات ابن مناة الملك ، أنها اشتهرت
شرقا وغربا ، وهي التي يقول في مطلعها تمهيدا :

يجبى ارفع حجاب النور ^{عن}
نمطر المسك على الكافور ^{في}
ثم يبدأ بالأفعال والأبيات فيقول :

كالي . يا سحب تيجان الرى ^{بالحلى}
واجبلي . سوارها منعط ^{الجدون}
يا سما . فيك وفي الأرض نجوم وما
كل . أخفيت نجما أظهرت ^{الحجما}
وهي ما . تهطل الا بالكى ^{والدما}
فاهطلي . على فطوف الكرم كي ^{تملي}
واقلي . لادن طعم الشهد والدو ^{فلى}
تقد . كالكوكب الدري المرتصد
يعقد . فيها الجوسي بما ^{يعقد}
فائد . يا ساقى الراح بها واعتمد
واملي . حق تراني عنك في ^{مرل}
فلتلي . فالراح كالعشق ان يزد ^{يقتل}

العدار
جلندار

لا اله في شرب صها وفي عشق ريم
«العم عيش جديد ومدام قديم»
لا اهي . الا هذي فقم . نديم
واحل لي . من أكوس خبرت من فوق
الدلي . من نكهة العبر والمدون

(مقدمة ٤٨ : والمستطرب ٢٧٨/٢ وازهار الرأس ٢١٦/٢)

وهكذا نجد فن التوشيح ينتقل من المغرب الى المشرق
ويخرج من أوق المغنيين وأهل اللهو والطرب ، إلى آفاق
رجال العلم وشيوخ الأدب ، ثم يستفيض بين الناس ، وينحدر
إلى العامة بعد ان كان يأخذ منها الطرفة والملحة ، وإذا هو
شيء جديد ، وفن حامي اسمه (الزمل) .

يقول ابن خلدون : المقدمة ٤٨ : والازهار ٢١٧/٢

« ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور
لسلاسته ، وتمييق كلامه ، وترصيع أجزائه ، نسجت العامة
من أهل الأمصار على منواله ، ونظموا في طريقته باقتهم
الحضرية ، من غير أن يلتزموا فيها اعراباً ، واستحدثوا فناً

سموه (الزجل) والتزموا النظم فيه على منحبرهم الى هذا العهد ،
فجاءوا فيه بالفرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة ،
فالموشحات إذن هي التي أغرت العامة بان ينسجوا على منوالها ،
ولكن بطريقتهم الخاصة ، قأدى الأمر إلى الانحدار باللغة ؛
ومن أجل ذلك قال بعضهم عن فن الموشح : إنه كان ذا أثر
سيء في الأدب .

والحقيقة ان فن الموشحات لم يكن صاحب الأثر
السيء في الأدب ، لأن الشعب العربي نفسه ، كان يسير نحو
المعجمة ، بسبب كثرة الاختلاط والامتزاج بالاعاجم في المغرب
والمشرق ، وكان العلماء يجأرون بالشكوى من استفحال المعجمة ،
وكان (الزجل) وغيره صورة عن الطبائع الشاعرة التي لا تستطيع
الامتناع عن شعورها بالكلام النصيب ، فمن غير الحق ان
نحمل فن التوشيح جريرة المبالغة في الانحدار الى هاوية المعجمة ،
لأن فن التوشيح نفسه سقط في هذه الهوة حين قالوا بوجوب

تضمنه الكلام العربي والسوقي ، وجوب تأييد نفسه عن القواعد
المرعية في صحة الكلام .

وإذا لم يكن الموشح مظهرًا من الانحدار في الشعر ، فهو
ليس مظهرًا لا يسمى ما بلغه الشعر من الرقي أيضًا ، لأن الروائع
التي خلفها المخلدون في الأدب كآبي تمام والبحري وأبي الطيب ،
وغيرهم كثير ، ليست في حكم التقدير والاعتبار باقل من
الموشح ، وعندنا أنها أدوع وابدع وأبرع .

وهنا لا بد من الاقرار بأن الموشح ثمرة من ثمرات الفكر
الشاعر ، وال عاطفة المتوقدة ، وصورة من صور الأدب ، ومظهر
من مظاهر الحياة الاجتماعية ، ومن الجور على أنفسنا وعلى
الأدب أن نقرر أن الشعر ارتقى صعدًا ، أو انحدر صيدًا ، فكان
الموشح ؛ انه فن من فنون الشعر ، لم يحاول أن يقهر القصيدة
العربية فيفنيها لتبقى له مظاهر الابداع ، ولا حاولت القصيدة
أن تفنيه لتظل خالدة وحدها .

لقد سارت القصيدة العربية باوزانها وأغراضها الى يوم الناس

هذا ، على ما يعرف عنها ، ولكن نبت على جذعها فرع تعبد من تعبد ، وطيبم بد طعمم . وكانت له ثمرة غير الأصل ، فيها لذة ومتمعة ، ولها من الأم الغذاء والمستند ، ولكنها غير الثمرة الأصلية على كل حال ، طعماً وشكلاً وألواناً .

وقد استطاب الناس هذه الثمرة الجديدة في الأدب والغناء وأولموا بها ، واحتفظوا بروائعها ، وما يزال الناس في المشرق والمغرب العربيين يذكرون (الموشحات الاندلسية) و (النوبات الاندلسية) كما تذكر الروائع من موسيقى الغرب وآدابه ، ولعل تعلق الناس بهذا اللون من الأدب والغناء ، يرجع إلى رئيس الحنين إلى الأندلس ، ونهف القلوب للمجد المضائع ، والفردوس المفقود ؛ هذا ملاحسة إلى ما في نظم الموشحات وما في ألحانها من عنوبة ودوعة وإلّا فلم لا تتردد كلمة (الأندلس) حتى يشعر العربي والمسلم بحجوه من السحر الأخاذ والعبق الكريم ، لم يحرموا على أن يحتفظوا بهذه الصفة (الاندلسية) لطائفة من الأغاني والألحان حين يقولون (فوبه نو موسم ابرلين)

ولم يطلق عليها المغرب العربي إلى اليوم هذا الاسم (كلام غرناطة)^(١)
لو لم يكن لي جانب النعمة الفنية ، ذكرى حسنة تكمن في
أعماق النفوس العربية والمسلمة ؛

ان فن الموشح الذي كان محنو الغناء ، والذي ازدهر بازدهار
الموسيقى العربية منذ حوالي ثمانمائة عام ، استطاع أن يحمل في
كياهه الخاص ، عنصر الخلود والروعة ، فأعجب الأفكار ، وأطرب
النفوس ، وخلق الافئدة ، وتنافسته الايام كاحسن ما تناقل
من الارث الحبيب .

(١) المنشور عربي يردس في كتاب (الشعر الاملائي) ص ٢٩٣

السابقون الى التوشيح

رأيت أن العبقرية الاولى التي تفتحت عن فن الموشح ،
كانت عبقرية أندلسية خالصة ، غرست للناس غرساً تمهيدته
الأنحان ، وسهرت عليه الأهواء . فما وزكا ، وآتى أكله
يانعاً شهياً .

وقد زعم قوم أن السابق الى الموشح شاعر عباسي مشهور
هو ابن المعتز (المتوفى سنة ٢٩٦) ونسبوا اليه الموشح المعروف
أبها السبي إليك المشكى قد دعوناك وإن لم تسمع
والصحيح الثابت أن هذا الموشح أندلسي ، نسبة صاحب
طبقات الأطباء إلى الفقيه أبي بكر بن زُهر^(١) الوشاح المشهور
أضف إلى هذا أننا لا نعرف ابن المعتز وشاحاً ، أو ممارساً
لهذه الصنعة الشعرية الجديدة في جميع التراجم التي تحدثت عنه
(١) ورد في مقدمة ابن خلدون اسم (زُهر) مصحفاً هكذا
(زُهير) وهو خطأ مطبعي ، ووقع ذلك أيضاً في كتاب العذاري
لنأثبات في الأزجال والموشحات ، لجامعة فليب قعدان الحازن .

ولا يضم ديوانه من الموشحات غير ذلك الموشع ، مع أنه كان صاحب لهُو وحُرب ومُتعة ، والموشحات تناسب من كان في طباعه وأخلاقه ، ولو كان المخترع الأول للموشحات ، أو كان له من هذا الفن نصيب ، لوجد في محامه لرحب انضالاً لمواضعة وشاعريته وأهوانه ؛ هذا إلى أن مؤرخي الأدب القدامى يدكرون عن ابن سناء الملك ، المتوفى في أوائل القرن السابع ، أنه أول من أدخل هذا الفن إلى المشرق ، وبذلك يظل فضل السبق إلى الموشحات مقصوراً على الأندلسيين ؛ وقد ذهب ابن بسام في ذخيرته (١/٢) وغيره من الباحثين إلى أن أول من وضع أوزان هذه الموشحات في أفق الأندلس ، واخترع طريقتهما في نهاية القرن الثالث هو محمد بن محمود القفري الفخري من مدينة قبرة في الأندلس (أو هو محمد بن محمود ... كما في أزهار الرياض ٢٥٦/٢ وغيره)

وقالوا إنه كان يصنعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأشاريض المهمة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والمجمل على الأشاريض المهمة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والمجمل

(٤)

ويسميه المركب (أي كلمة الخرجة) ويضع عليه الموشحة دون
تضمن لها ولا اغصان (القحيرة ١/٢)

وذكر ابن خلدون ان المخترع لهذا الفن في جزيرة الاندلس
مقرم بن معاني القبري (لا مقدم بن معاني القبري كما ورد في
المقدمة مصحفاً ومحرفاً ، وعنه نقل بعض الأدباء) وهو من شعراء
الأمير عبدالله بن محمد المرواني الذي امتد حكمه من ٢٧٥ الى ٣٠٠ هـ
وعن مقدم هذا أخذ ابن عبد البر صاحب كتاب (العقد) ولم
يظهر لها مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتها ، فكان
اول من برع في هذا الشأن بمدحها عبادة القزاز ، شاعر المعتصم
ابن صمادح صاحب المربة ، وقد ذكر الأعلام البطلوسي انه سمع
ابا بكر بن زهر يقول : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز »
(المقدمة ٥٤٢ و ازهار الرباس ٢٠٧/٢)

وكذلك حكى الكاتب ابو الحسن علي بن سعيد العنسي في
كتابه « المقتطف من أزهار الصُرَف » ان الحجارى ذكر
في كتابه « المسهب في غرائب المغرب » ان المخترع للموشحات

بجزيرة الأندلس هو المقرم بن مسافى القبري من شعراء الأمير
عبدالله لرواني ، وأخذ عنه أبو عمر بن عبد ربه صاحب (العقد)
ثم غلبها عليها المتأخرون ، وأول من برع فيها عبادة القزّاز
شاعر المعتصم صاحب المربّعة . (اثمار الياض ٢٠٢/٢)

وقال ابن بسام في النخبة (٢/٢) « وقيل إن ابن
عبد ربه صاحب العقد أول من سبق الى هذا النوع من
الموشحات عندنا ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان
أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز » ثم نشأ أبو بهم
عبادة بن ماء السماء (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) ، فكمّلت على يدبها
الصنعة الجديدة ، ولم يظهر للسابقين الأولين ذكر مع المحدثين .
ومن هنا يتبين لك اضطراب القول في أول محترم لهذا
الفن ، شأن كل جديد من الأمور ، وإن محمد بن حمود
(أو محمود) القبري ، أو المقدم بن مسافى القبري ، كانا السابقين
وتبعهما ابن عبد ربه ثم جاء المجودون من بعد ذلك .

فيمكن أن يقال إذن إن القرن الثالث الهجري هو أول

عهد ظهرت فيه الموشحات الابتدائية التي لم يستقم أمرها ، ولم ترسخ دعائمها ؛ وإن القرن الرابع الهجري الذي بلغ فيه فن الغناء أوجه وغاية مجده ، هو العهد الذي ازدهرت فيه الموشحات الكاملة ، وإن الوشاحين الذين جاءوا قبل القرن الرابع لم يبلغوا مبلغ المجودين في ذلك العصر الذهبي للموشح ، والسرى في ذلك اعتماد الموشح على الأنغام والإيقاع وشدة الأوتار ، وما يلائم ذلك من حياة وادعة تشد المنعة والطرب ، مما تهيأ كاملاً حوالى القرن الرابع .

وعلى هذا فيجب أن نلتبس التجويد في الموشحات منذ القرن الرابع الهجري وما يليه ، على أيدي القزاز وإن ماء السماء وغيرهما حتى إذا جاء القرن السادس الهجري وجدنا كتاباً يؤلفه ابن سائر ذلك ويسميه دار الطراز يتحدث فيه عن صنعة لموشح ، وينقل إلينا فيه كثيراً من الموشحات القديمة ، والموشحات التي نظمها هو نفسه ؛ وقد نشر هذا الكتاب الدكتور جودة الركابي بوغتي به عناية كبيرة ، فوقع في نحو خمسين ومائة صحيفة من القطع

الوسط والحرف الدقيق ، ويتألف في الأصل من مقدمة للمؤلف تحدث فيها عن حد الموشحات ، وقواعد عروضها ، وما اصطلح عليه فيها ، وضرب لذلك الامثال ؛ ومن قسمين في الأول منها بعض موشحات الاندلسيين والمغاربة ، وهي التي أخذ منها الأمثلة على القواعد المذكورة في المقدمة ، ويبلغ عددها اربعة وثلاثين موشحاً .

وفي القسم الثاني موشحات ابن سناء الملك نفسه ، مرتبة على نسق الموشحات المذكورة في القسم الاول ، ويبلغ عددها خمسة وثلاثين موشحاً .

ولعل مقدمة ابن سناء الملك أم ما في الكتاب ، لأنه شرح فيها النظرية الفنية في عمل الموشحات ، والقواعد المارعية في هذا الفن ، ويكون بهذا أول من قام بتحديد اصول الموشح بصورة واضحة بينة ، وإن كان الذين سبقوه الى الكلام على الموشحات قد أشاروا بعض الاشارات الى تلك الاصول ،

الا ان الوشاحين الاندلسيين لم يذكروا لنا بصورة جلية الاسم
التي يجب أن يقوم عليها الموشح .

وتحدث المؤلف عن أوزان الموشحات واغراضها وعن تسمية
الكتاب باسم (دار الطراز) وقد كان ينبغي أن يسميه بغير
هذا ، كقانون الموشحات أو توشية التوشيح أو عقد الموشح أو غيره ،
ولكنه لم يجد أشمل وأكمل من لفظ (دار الطراز) لأن
معنى (الطراز) هو أجود الثياب المعلمة المطرزة التي تعمل
للسطان ، ولأن معنى (الموشح) هو الثوب الموشى المطرز وعلى
هذا تكون (دار الطراز) هي الدار التي يعمل فيها حريري
الموشحات ومذهبها وتحفها وطرفها . فالكتاب هو تلك الدار
وان لم يكن الدار فهو الجار ، كما يقول المؤلف .

ويعتذر — بأحلاق العالم المتواضع — ان كان في موشحاته
ما لا يبلغ مبلغ الموشحات الاندلسية الفاتحة ، لانه لم يولد في الاندلس ،
ولا نشأ في المغرب ، ولا سكن اشبيلية ، ولا ارسى على مرسية ،
ولا عبر على مكناسة ، ولا سمع الأذعن ، ولا لحق دولة المعتمد

وابن صيادح ، ولا اتي كبار الوشاحين أمثال الانعمى وابن بقي
وعبادة والحصري ، ولا أخذ عن شيخ متقدم في هذا العلم ،
ولا وقع اليه مصنف في هذا الفن ؛ ثم اورد الموشحات المختارة
وانبعا بموشحاته التي صنعها بنفسه .

ولندي بالاحظه على ابن سناء الملك انه كان في بعض المواضع
بعيداً عن الوضوح والطبع والسلاسة ، متأثراً بأسلوب عصره من
حيث كثرة التأنيق في المفردات والسجع ؛

وشيء آخر هو انه لم ينسب الموشحات التي أوردها الى
أصحابها ، وهي من أفضل ما قيل في هذا الفن من قبل ، ومنها
استمد المؤلف القواعد التي ذكرها كأصول مرعبة في التوشيع ؛
وإهماله هذا لذكر أصحاب الموشحات إهمال لا يُرضي ، وكان
على صديقنا الناشر أن يتلافاه حين رجع إلى المصادر المتعددة
اتناء التحقيق والطبع ، وألم بأصحابها ، وقابل بين ما طبع من
الموشحات وما كتب عنها من قبل ، وبين ما هو في نسخة
المؤلف التي يحقق فيها ، ولكنني أحسب ذلك شأن كل عمل

انساني يذهل صاحبه عن بعض ما يتعلق به ، رغم العناية الفائقة :
وشيء يسير آخر ، هو ترك الناشر شرح بعض الأفكار الواردة
في الموشحات ، مما يبدق فهمه على الدارسين ويسهل ايضاحه
على المدرسين . وكان من الخير لو استدرك هذا لانه لا يعجزه
وشيء ثالث هو ان قليلاً من التشكيل يحرف لا تستقيم
معه بعض الكلمات ، وعسى أن يتلافى الناشر ذلك فيما بعد .
وأراني بعدد مقدراً جهده صديقنا الناشر وبحسبه ان يضع
بين أيدي الناس كتاباً كان مفقوداً هو من أحسن المصادر
في فن التوشيح ، مطبوعاً أحسن طبع ، معنياً به خير عناية ،
ثم أن ابن سناء الملك ، وقد أراد أن يسطر بعض الأصول
والقواعد المرعية في هذا الفن ، لم يتوخ أن يذكر أسماء النابهين
من الوشاحين في الامدلس ، ولا أن ينوه بشأنهم ، وقد استدرك
الناشر ذلك ببعض التعريف بأولئك الوشاحين دون الاضافة ، كما
عرف مؤلف الكتاب ، فاستحق الناشر على صنيعه وتعبه ، الجزيل
من الثناء .

عباقرۃ التوشیح

آلت الأندلس الى العرب الفاتحين سنة اثنين وتسعين
للهجرة ، وصلت تحکیم من قبل الولاة حتى كان عهد نبي أمية الجديد ،
حين دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس واستولى عليها سنة
تسع وثلاثين ومائة ، واستمر الحكم والخلافة الأمويان في الأندلس
حتى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة حيث قام ملك بني حمود ، ثم
انقرض سنة ستين وأربعمائة ، وآل الأمر الى ملوك الطوائف في
الأندلس ، وتفرق ذلك الملك في جماعات من الموالي والوزراء وكبار
العرب والبربر : تغلب بعضهم على بعض ، حتى أعطوا الأتاة لملوك
الفرنجة ، ثم أخذهم من الذل والفوضى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ،
حين نزل الجزيرة الخضراء سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ولم يزل
يستولي على البلاد حتى تم له ما أراد ، وخاطب الخليفة العباسي
في بغداد فمقدله على المقرب والأندلس ، واستقر فيها ملك
المرابطین (المشمين) حتى توفي سنة خمسائة ، واستمر المرابطون

في الحكم حتى غلب الموحدون على بلاد المغرب سنة احدى وخمسين وخمسة مائة ، واستولوا على الأندلس ، وثارت الفتن ، وحكم ابن هود ، ثم ثار جدسي لأحمر وبويع له سنة تسع وعشرين وستة مائة ، وصأت الأمور في اضطراب ، والعدو يتقدم ويستولي على البلاد ، والقوم في نزاع ، يقدر بعضهم ببعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، حتى تغلب عدوم على الجزيرة الخضراء وأخذها صلحاً سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ولم يزل الأمر في الأندلس بين يدي ملوك تهرع ، وقواد تغدر ، وشعب ينحدر ، وزعماء تغاصر ، حتى تقاص الظل العربي وانكش الاسلام ، فكانت الأندلس غنيمة الانحلال ، وصحبة الأهواء ، سنة سبع وتسعين وثمانائة .

وما كان لمن هذا التاريخ الطويل الحافل ان يوجز في سطور ، لولا اننا نريد أن نذكر القارئ الكريم بأطوار الحكم التي مرت على الأندلس ، والأزمان التي عاش فيها الوشاحون الذين سنتحدث عنهم ، اذ كان من حق الدراسة ان تمثل أزمانهم ، ولو على سبيل الإيجاز ، لتتخيل تسلسلهم وتعاقبهم في الفن الذي شرحنا أصوله وفروعه ؛ واذا كانت من السر أن تأتي على جميع

الوشاحين : الأندلسيين والمغاربة والمشاركة بالترجمة والاستشهاد ،
فلا أقل من الإشارة الى بعض العباقرة منهم ، أولى الشهرة والتأثير
في نشأة هذا الفن وتطوره ؛ وهام أولاء على تسلسل الأزمان ^(١) :

ابن هبيرة

(٢٤٦ - ٣٢٨) هـ (٨٦٠ - ٩١٠) م

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، الإمام لأديب ،
وصاحب (المقدم) . من أهل قرطبة ، كان جده الأعلى (سالم)
مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية .

(١) روجعت للأتراحم والمنشجات ، والمدراسة عامة ، مراجع كثيرة مهم :
الخطط ، والاسلام والحصارة العربية لكرد علي . تاريخ الأندلس لأشباح
(الألماني) . الاوضاع الإسلامية لديموبين (بالافرنسي) . الشعر الأندلسي
لبيره س (بالافرنسي) . الأعلام للزركلي . مطمح الأنفس وقلائد
العقيان للفتح بن ساقان . معجم الأدياء لياقوت . نيفة الدهر للنعالي .
وفيات الأعيان لابن خلكان . المقدمة لابن خلدون . فوات الوفيات للإصلاح
الكني . نخع الطيب وارهار الرئيس للمعري . الدخيرة لاس سام . الإحاطة
لسان الدين بن الخطيب . دار الطراز لابن سناء الملك . الشعر في العصر
الأيوبي (بفرنسي) ومحاسرات في الادب الأندلسي للركاني المستطرف
للأبشي . المقدم لابن عبد ربه . الصبح للقلقندي تقويم الخيمي الدمشقي .
وكتب الأدب الحديثة في مصر والشام ولبنان والبستان والحامي والمحموري وغيرهم

كان ابن عبد ربه شاعراً مشهوراً، وأديباً مذكوراً، وعالمًا
كثير المحفوظات والاطلاع على أخبار الأدباء، شمعها في المقعد،
وألمه العلم والأدب ما يشتهي من الغنى بعد الفقر. إذ كان في
العلم ثقة، وفي الأدب حجة، وفي الشعر غاية؛ استطارت
شهرته في المشرق والمغرب ولقب (بإليح الأندلس)؛ قبل
أن المتني كان في حامع عمرو بن العاص فجاءه ندلسي يريد أن
يجمع إليه، فقال له المتني: أشدني بإليح الأندلس، فأشده قول
ابن عبد ربه :

بالؤلؤ أيسر القول أيقا	ورشا بتقطيع القلوب وليقا
ما إن رأيت ولا سمعت مثله	دراً يهود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه	نصرت وجهك في سده غريقا
يا من تقطع خصره في رقة	ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فاستعاد المتني الأبيات وقال : « يا ابن عبد ربه ، لقد تأنيك
العراق حبواً » .

ولابن عبد ربه القصائد (المحتصات) ، وهي قصائد ومقاطع
في المواعظ والزهد ، تقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل .

وكتابه (المقد) من أشهر كتب الأدب ، وله أراجيز في
في تاريخ الخلفاء الراشدين ، وغيرهم ، وطبع من ديوانه خمس
قصائد ، وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام

يوسف بن هرون الرمادي

(٤٠٣ - ٥٠٠) هـ (١٠١٢ - ١١٠٠) م

ابو عمر يوسف الكندي الرمادي ، نسمة الى رمادة وهي
بلدة في المغرب ، كان أصله منها ،
شاعر أندلسي ، مولده ووفاته في قرطبة ، عالي الطبقة ،
كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند الخاصة والعامة هناك
لسلوكة في فنون المنظوم مسالك تنفق عند الجميع ، اذ كان
يحزن في الشعر ويسهل ، قاجم القوم على تفضيله .
كان معاصراً لآبي الطيب المتنبي ، وكان كثير من شيوخ
الأدب بقولون : « فتح الشعر بكندة وختم بكندة » يعنون
بذلك امرأ لقيس ، والمتنبي والرمادي .

لرم ابا علي القالي صاحب الأملالي حينما قصد الأندلس سنة ٣٣٠ وأخذ عنه وروى كتابه (النوادر) ومدحه بشعر جيد .
نسب اليه من الشعر في دولة الخلافة ما ألقاه في السجن طويلاً ، وأدرك الفتنة ففاض لحنها ، ولحقته فاقة لزمته وأنهكته حتى أهلكته ، وقد عمر طويلاً ، وخلف كثيراً من الشعر ، وكتاباً له في (الطير) ومن شعره :

بدرٌ بداءٌ يحمد شمساً بدت	وحدثها في الحسن من حدثه
تفرُّبٌ في فيه والسكها	من بعد دا تطعم في خده
وله :	

في اي جرحه اصون ممذي	سلمت من التعذيب والتكيل
ان قلت في بصري قثم مدامي	او قلت في كبدي قثم غليلي
وثلاث شيبات نزلن بغيرتي	فعلت ان نزولهن رحيلي
طعت ثلاث في نزول ثلاثة	واخذ وجهه مراقب ، وثقيل

ابن ماء السماء

(٤٢٢ - ٠٠٠) هـ (١٠٣١ - ٠٠٠) م

أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء ، من ذرية سعد بن عبادة الأنصاري ، وقيل له ابن ماء السماء لجدته الأولى كان عبادة رأس الشعراء ، متجعاً بشعره ، بعيد

الهمة ، وهو الذي أقام عماد الموشحات وهذب ألفاظها وأوضاعها
 واشهر بها ، شهيراً غلب عليه ، فكانت لم تسمع الا منه .
 ضاعت له مائة مثقال قاعم عليها وكنت سبب وفاته في مائة
 وله شعر حسن منه قوله :

لا تشكون اذا عثر	ت الى خليط سوء حالك
فيريك ألواناً من الـ	إذلال لم تخطر ببالك
ايك انت تدري بما	مك ما يدور في شمالك
واصبر على حوب الرما	ن وان رمت بك في المهالك
والى الذي اغنى واق	فى اصرع وسلكه صلاح حالك

ابن الفزاري (القرن الخامس)

ابو عبدالله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز ،
 (وعبادة القزاز أيضاً) شاعر المعتصم بن صمداح صاحب (المريعة)
 المتوفى سنة ٤٨٤ هـ .

من مشهوري الشعراء والأدباء ، وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ
 نظمه في أوزان الموشحات ، وقد برع في نظمها ، وشهد له
 المتقدمون بالتفوق والتقدم ؛ فقال ابو بكر بن زهر : كل
 الوشاحين عيال على عبادة القزاز ؛ وكان فيما اتفق له من ذلك قوله :

يدريهم	شمس ضحي	غصن ثقا	ملك شم
ما أتم	ما أوضعا	ما أورقا	ما أتم
لا جرم	من لحا	قد عشقا	قد حرم

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف ، وجاء مصدياً خافه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذي اللون صاحب طليطالة .

ابو الحسن المصري

(٤٨٨ - ٥٠٠) هـ (١٠٩٥ - ١١٠٠) م

علي بن عبد الغني الفهرري الملقب بالضرير ، ولد في القيروان وتوفي في صُنجة ، قال عنه ابن بسام : « كان بحر براءة ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طراً على جزيرة الاندلس في منتصف المائة الخامسة بعد خراب وضعه من القيروان ؛ فتهادته الملوك وشافوا فيه » .

كان صديق العطن ، يهتم الى الهجاء نلت الظمان الى الماء .
وكاد علماً باقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن الكريم بسبته وغيره ، وله قصيدة نظمها في قراءات دفع ، وديوان

شعر جيد ، ومن أشهر شعره القصيدة السائرة التي عُني بها كثيراً :

يا ليل انصب مقى غده اقيام الساعة موعده
رقد الشمار قارقه اسف للبين يردده

وقد عارضها كثير من الشعراء ، فمن القدماء الذين عارضوها

ابو الفضائل القمراوي فقال من قصيدته :

قد ملّ مريضك عوده ورثي لأسيرك حده
لم يبق حذك سوى نفس زفرات الذوق تصمده

وقد طبعت المعارضات الحديثة في رسالة صغيرة عنوانها

(معارضات يابل الصب) وليس فيها كل المعارضات الحديثة

ولا القديمة .

وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية — ويسمى بالاندلسيون

محض أيضاً — بعث الى أبي الحسن الحضري بخمسمائة دينار

ليحضر اليه من القيروان ، وكان الروم اذ ذاك مسيطرين على

البحر فكتب الى المعتمد :

مررت برؤوس البحر اقطعه غيري ، لك الخير ، فاحصه ، مد الله
ما انت روح فتجيني سفينة ولا المسيح الا أمشي على الماء

ودخل الاندلس بعد ذلك ومدح المعتمد ، ثم توفي في طليجة .

وابو الحسن هذا ابن خالة ابي اسحق المحصري صاحب
زهر الآداب المتوفى في القيروان سنة ٤١٣ هـ على رأي
ابن خلكان ، أو سنة ٤٥٣ على رأي ابن بسام

ابن يحيى

(٥٤٠ - ٠٠) هـ (١١٤٥ - ٠٠) م

ابو بكر بن يحيى من عبدالرحمن بن يحيى الاندلسي القرطبي :
شاعر ذو روائع في الشعر ، اشتهر في اجادة الموشحات ،
وتنقل في كثير من البلاد المكاساً للرزق ، وكان الحرمان الزم
له من ظله ، حتى وجد من أنظمه جابجا من العيش فمدحه ،
وأثنى عليه المترجمون له ، وعدوه من محاسن دولة المائمين وذكروا
له كثيراً من جيد الشعر كقوله :

يا افتك الدس الحظا والطبهم	ريقاً متى كان فيك العاصبُ والعسلُ
في سخن خدك وهي الشمس طالعة	وردٌ يزيدك فيه الراح والحجل
إيمان حبث في قلبي يجوده	من خدك الكتاب ومن لحظك الرسل

وحياة الشعراء في دولة المائمين تأتي بعد من كانوا في عهد

ملوك الطوائف كالقزاز وابن ارفع رأسه ، ويعتبر ابن بقي
والأهمى التطيبي أسبق من جاء في عهد الملاحين .

زعموا ان أبا بكر بن زهر قال : ما حسدت قط وشاحاً
على قول الا ابن بقي حين وقع له قوله :

أما ترى احداً في مجده العلي لا يلحق
اطلاه العرب فازنا مثله يا مشرق

ومن أجل ما وقع له من الموشحات قوله :

عبث الشوق فلبى فاشتكى ألم الوجد ، فلبث ادعى
ايها الناس فزادي شذوفاً
وهو من بني الهوى لا ينصف
كم ادويه ودمي يكرف

ايها الشادن من علاءك بسهام اللاحظ قتل السبع

بدر تم نحت ليل اغطى
طالع في غصن بان منشي
احب للفد بخد ارقش

ساحر الطرف وكم قد فكا بقلوب درعت بالاضلع

واشقى يهز من سكر الصبا
اي رثم رثمه فاجتبا
كفضيب هزته ويح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وسلكا وا طرح اسباب شجري ودع

قال خدي زهره مد قوتفا

جرت الطرف حساماً مرهفا

حذراً منه بالاً يقطفا

ان من رام حياه هلكا فازل عك امانى الطمع

ذاب قلبي من هوى ظي غرير

وحبه في الدجن صبح مستير

وفزادي بين كفيه اسير

لم اجد للصبر عنه ملكا فاتصاري مانسكاب الادمع

ويُخَيَّل ابي ان هذا الموشع هو الاصل الذي عارضه ابن زهر

في موشعه المشهور الذي يقول في مطلعته :

ايها نسائي اليك المشتكى قد دعوك ون لم تسمع

ابو عيسى التليطي (النصف الاول من القرن السادس)

ابو جعفر بن هريره ، ابوبكر التليطي (والتليطي والطائيطي)

الوشاح المشهور ، من شعراء الابداس في دولة المشين (المرابطين)

اوائل القرن السادس للهجرة ، سكن مرسية ومات في مقتبل العمر

وضاع كثير من أخباره ، وبقيت شهرته ، واثار عبقريته .
كان كثير الوقوع في الناس ، قيل له مرة : يا أبا بكر ، كم تقع في
الناس : فقال : أنا أعمى وم لا يبرحون حُفَرًا ، لا عذري في
وقوعي فيهم ، فقال السائل : والله لا كنت قط حفرة لك .
وجعل يواليه بره ورفده .

قال عنه الفتح في القلائد : « له ذهن يكشف الغامض الذي
يخفى ، وجاء بالنادر الذي أعجز ، ونظم أخبار الأمم المفرقة في
لغة القريض ، وأسماها أطرب من نغم معبد والفريض ، وكان
بالأندلس سرا للاحسان الا انه اختصر حين الحُفَرِ ، واعتبط
عندما استبشر به واعتبط . »

وذكر بن خلدون : ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس
في اشبيلية ، وكان كل واحد منهم اصطنع موشحةً وتأنق فيها ،
فتقدم الأعمى التايطي للانشاد واقتنع موشحته بقوله :

صاحبت عن 'حن' . سافر عن بدر . ضاق عنه الزمان وحواء صدي

آه بما أجده شفي ما أجد

قام لي وقعد باطش متند

كما قلت قد قال لي أين قد

واشي خوط بان . ذامه زير ندمر . هابته يدان . لاصيا والقطر
فلما سمع الوشاحون قوله خرّق ابن بقي موشحته ، وتبعه الباقون .

الحكيم ابو بلر بن بامية (القرن السادس)

صاحب التلاحين المشهورة المعروفة ، حاصر ابن بقي والاعشى
الطليطلي ، وكان مقدما عند ابن تيفلوت صاحب سرقسطة ،
ألقى ابو بكر ذات يوم على بعض القينات موشحته في المديح
التي اولها :

حرر الذيل ابا جبر وصل الشكر منك بالشكر

وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لأمير الملا ابي بكر

فطرب ابن تيفلوت وصاح : واطرباه ، وشق ثيابه ، وقال

ما أحسن ما بدأت به وما ختمت ! وحلف بالايمان المفاضة الا

يمشي ابن باجة الى داره الا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء

العاقة ، فاحتال بان جعل في نعله ذهباً ومشى عليه .

ابو بكر بن زهر

١ (٥٠٧ - ٥٩٥) هـ (١١١٣ - ١١٩٩) م

ابو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر
ابن أبي مروان ... بن زهر الأيادي الأندلسي الأشبيلي .

كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء ، وحكام وزراء ،
متقدمون عند الملوك ، وكان أبو بكر متمكناً من شعر العرب ،
عالي المرتبة ، كثير الأموال ، مشروفاً على جميع أقول أهل
الطب ، وله في كتاب جالينوس (حيلة البر) :

(حيلة البر) صنف لعليل	يرحى الحياة او لعيلة
فاذا جاءت المسية قالت	حيلة البر : ليس في البر حيلة

وكان يعالج الناس في الطب ، وأوصى ان يكتب

على قبره :

تأمل بحق يا وافقاً	ولاحظ مكانا دفنا اليه
تراب الصريح على وجمي	كأنني لم أمش يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المتون	وها أنا قد صرت رهباناً فيه

وانفرد بالتقدم في الموشحات ، في زمانه ، وقد شرقت موشحاته
وغربت ، وكان جده ابو العلاء زهر وزير الدهر وفيصوف العصر
وحكيمه ، وتوفي سنة ٥٢٥ بقرطبة .

وكان عبيد الملك قد ارتحل الى الشرق وطبب زماناً طويلاً ،
وتولى رئاسة الطب في بغداد ، ثم في مصر ، ثم في القيروان
وبذلّ اهل زمانه .

وكان جد جده محمد بن مروان عالماً حافظاً للادب فقيهاً
متقناً جواداً .

فيل لابي بكر : لو قيل لك : ما ادعُ ما وقع لك في
النوشيح ؟ فقال : كنت أقول :

ما احوالة	من سكره لا فبق	باله سكران
من غير حمر	ما للكئيب المشوق	يبد الاوطان
هل تسماد	أيام ما خليج	وليايد
و يستفاد	من العسم الأريج	مسك داريه
وادر نكار	حسن المكان البهيج	ان يحيد
هر طلاء	دوح عليه انيق	مورق فيان
و ماء يحري	وطائم وغريق	من جنى الربحان

ابن سناء الملك

(٤٥٠ - ٦٠٨) هـ (١١٥٥ - ١٢١١) م

هبة لله بن القاضي الرشيد جعفر بن سناء الملك ،
السعدي ؛ أبو القاسم ، ويعرف بالقاضي السعيد ، شاعر ذو ثقافة
عالية ، حُلته منصب القضاء كآتيه ، مصري المولد والوفاة .
كان نبلاً وافر الفضل ، بارعاً في علوم اللغة ولدين ، رحب
الندي ، جيد الشعر ، نديم الانشاء متفنناً فيه ، مكثراً للتأنيق
في الكتابة ، كتب في ديوان الانشاء بمصر مدة ، على سعة
في العيش ووفرة من الغنى .

وكان ولوعاً بالموشح ، فاستقصى أخباره وأسس ، وجمع
طائفة من أحسن ما عرف منه في كتابه (دار الطراز) وأودعه
موشحاته التي نظمها هو نفسه .

وكانت له صلات أدبية وثيقة بالقاضي الفاضل صاحب
الطريقة المؤثرة في الكتابة ، وبغيره من أدباء العصر وشمرائه ،
يطارحهم الشعر ويواصلهم بالأدب .

وكان معجباً بصلاح الدين الأيوبي، ومدحه مدح أكابر واحترام.
له كتاب (فصوص الفصول) (مخطوط) جمع فيه حائفة
من إنشاء كتاب عصره، ولا سيما القاصي الأصل، وكتاب
آخر اسمه (روح الحيوان) (مخطوط) اختصر فيه كتاب
الحيوان للجاحظ.

استفاضت شهرته في الشرق والغرب، ولخاصة في موشحه
الذي يقول فيه :

(١) يا حبيبي ارفع حجاب النور* عن العذار
تنظر المسك على الكافور* في جدار

إبراهيم بن سهل

(٦٠٥ - ٦٤٩) هـ (١٢٠٨ - ١٢٥١) م

من أهل اشبيلية، شاعر غزل، كان يهودياً فأسلم وتلقى
الادب وأجاد في الشعر، سكن سبتة Ceuta في المغرب الأقصى،
وغرق مع واليها إذ كانا في زورق انقلب بهما هناك.

(١) ورد المطلع بدون أداة تداء في بعض المصادر (حبيبي ارفع)،
ووجود الأداة مناسب وزن البيت الثاني (شطر...) ولذلك ابتناها
كما ابتناها بعضهم.

له ديوان شعر صغير . ومن أشهر شعره موشحه لذي
عارضه الكثير من الشعراء ويبدو به بقوله :

هل دري صبي الحمي ان قد حبي	قلب ص ص حبه عن مكنس
فهو في حر وخفق منلها	لبيت ربح الصبا ما نفس
يا بدوراً اشرفت يوم التوى	غُرراً تلك في نهج العُرُز
ما لنفسي في الهوى ذب سوى	مسكر الحسن ومن عيني النظر
اجتني اللذات مكلوم الحوى	والنذادي من حبيبي بالعكر
كلما أشكوه وحدي بها	كالرما بالعارض المبحر
اذ يقيم الفطر فيه ما نتما	وهي من بهجتها في عرس
أيها السائل عن حرمي لديه	لي حزاء الذنب وهو المذنب
اخذت شمس الضحى من وحنه	مشرقاً للشمس فيه مغرب
ذهب الدمع بادواقي اليه	وله خد العظمي مذهب

لسان العرب بن الخطيب

(٧١٣ - ٧٧٦) هـ (١٣١٣ - ١٣٧٤) م

محمد بن عبدالله بن سعيد اللوثي الأصل ، وزير مؤرخ ،
وأديب نبيل ؛ ولد بفراطة ، واستورده سلطانها ابو الحجاج يوسف
سنة ٧٣٣ ثم ابنه السلطان محمد من بعده ؛ نسيبه بعض حاشديه

الى مذهب الفلاسفة ورمي بالزندقة، وأوغر عاينه قلب السلطان
محمد بن يوسف فأعنته بفاس، فطرقوا عليه السجن ليلا وخنقوه
كان بلقب يدي العُمرين لكثرة أرقه واشتغاله بالتصنيف
في نيله، وبشدير المملكة في سهاره. وهو كثير المؤلفات، وتقع
في نحو ستين كتاباً منها الاحاطة في تاريخ غرناطة، والاعلام،
فيمعن ويوع قبل الاحتلام، من ملوك الاسلام.

وله شعر جيد، ومنه موشحه الذي عارض فيه موشع

ابن سهل فقال في مستهله :

حدثك البيت اذا الميت همي	يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك إلا حلما	في الكرى أو خلسة المحتلس

اد يتود الدهر اشقات الى	تنقل الخطو على ما يرسم
رسماً من درادي ونهى	منها يدعو او فودّ الموسم
والحبا قد حان الروعى	فنعور الزهر منه تسم

وروى النعمان عن ماء السما	كيف يروي ملك عن أس
فكس الحسن نوباً معلما	يزدهي منه نايى ملبس

في لبال كتمت سر الهوى بالدحي لولا شجوس الغرور
مال مجم الكائن فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر
وظر ما فيه عيب سوى أنه مر كلح البصر

ابن زمرك

(٧٣٣ - ٧٩١) هـ (١٢٣٣ - ١٢٨٩) م

أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي ، ولد في غرناطة ونشأ بها ، وهو من مفاخرها ، واسع المعرفة غزير المادة حاد الذكاء ظاهر الذليل ، جيد الكتابة والشعر ، كلف بالمعاني البديعة والألفاظ الصعبة ، حنّه السلطان ابن الأحمر محلاً رفيماً وخصّه بكتابة مره بعد لسان الدين بن الخطيب ، وقد أثنى عليه هذا في «الاحاطة» .

مات ابن زمرك قتيلاً بعد سنة تسعين وسبعائة

وهو كثير الموشحات من ذلك قوله :

نواسم البستان تثر ملك الزهر
والطل في الأغصان ينظمه بالجوهر

وراية الاصباح	اضاء منها المشرق
تشرها الارواح	فلا تزال تحرق
والزهر زهر فاح	ها عيون ترمق
فيا يخط الدمان	تبصر ما لم يبصر
جواهر الشهبان	قد عرضت للمشتري

وينتهي موشحه بمخاطبة ممدوحه ويقول :

خذها بلا دعوى	زعى على الروض الوسيم
جاءت كما تهوى	ارق من لادن النسيم
قد طارحت شكوى	من قال في الليل البهيم
« ليل الهوى يقظان »	والحبيب ترب السهر
« والصبر لي خوان »	والثوم من عيني ري

وهذا القفل الاخير (ليل الهوى يقظان) هو مطلع موشع

لابن سهل ، استعاره ابن زمرك فجعله (خرجة) لموشحته اوردها
بعد كلمة (قال) ، وفق ما جرت به العادة في خرجات الموشحات .

حول الموشحات

للباحثين في الموشحات آراء هي صفوة ما يذهبون اليه من حكم وتقدير ، لذلك كان من الخير أن يستعرض شيئاً من هذه الأحكام ، غير متناسين ما يمكن أن يكون فيها من اختلاف ، مردّه الى الزاوية التي ينظر منها القائل ، والاتجاه الذي يأخذ به نفسه ، قرب ممجّب يصدر حكمه عن قلبه ، وناقد يزن الأمور بميزان الواقع ، فيختلفان أفقاً ونظراً ؛ على أن كل اختلاف في هذا السبيل ، شهي مرغوب فيه ، ما أمتع البصر بإفق جديد ، وأمد الفكر برأي قويم .

من ذلك ما تحدث به المرحوم الاستاذ محمد كرد علي في كتابه « الاسلام والحضارة العربية » (١ / ٢٣٠) عن الشعر العربي والفنون الجيلة في الاندلس ، فذكر ان العرب « لما انتقلوا الى الاندلس جاء شعرهم خلافاً بما فيه ونصويره وتأثيره » وان « الاندلسيين فضل

السبق في اختراع الموشحات التي تهيج النفوس الخاملة ، وتشرها
القلوب السليسة ، كأن سماء الاندلس أوحى الى قرائحهم بما لم توحه
سماء الشرق ، وتجارى غواة القريض في نظم هذه الموشحات
وترديدها الى الغاية ، واستظرفها الناس جملة لسهولة تناولها وقرب
طريقها . وقد كثرت اختراعاتهم في المعاني ، والبسوا الشعر
ديباجة مستلحة كسرت قليلاً من قيوده ، وألبسته حلة مدنية
كاللحم العراقة والشامية أيام رواج الشعر في بعض ادوارها الراقية ،
ونقل عن شاعر الاسبان فرنسيسكو فيلامباس انه « لم تنهياً
للشعر العربي في عامة الاقطار التي اكتسحتها العرب تربة اصباح
من تربة الاندلس ، ولا زها في بلد من البلدان زهوته في
هذا البلد » .

وقال « ان روح الفروسية التي سادت القرون الوسطى ،
وحالت همجية الحروب الى مداعبات على ظهور الخيل في ميادين
الالعب ، وانتجت من الحب أدباً عالياً ، ومن المرأة صنماً

معبوداً لهي روح خلقها الشعر العربي وحملها الى العالم على أجنحة
 مرشحاته ، فعم العالم « الأدب الممتق » الذي سبق الرومانطيقية
 بـسبعة أجيال : ومنه كان للشعر العربي هذا التأثير في العالم ،
 فأحرر به أن يكون في اسبابا شديداً بلوغاً منه في غيرها .
 ثم يقول : « وليست جميع القصائد المجموعة في كتب الاغاني
 الاسبانية لمختلف الشعراء سوى انحلال ما في الدواوين الشرقية
 من شعر ، فإليك ترى ما طمبها براهقون في أناشيدهم الايقاع
 المنكر في الحان الرباب ... وينتهي الى ان التأثير بالأدب العربي
 البادي في آداب اللغة الاسبانية ظاهر في أناشيدهم الشعبية التي
 تمثل نفس أمته الشاعرة .. »

ويتحدث الأستاذ كرد علي عن النهضة الموسيقية الجارية التي
 كانت في الاندلس وبذكرة انه كان لهم آلات من الطرب ولوان
 من الملاهي كادوا يتفردون بها . ودام الغناء واللهو والاونار
 والرقص في الاندلس الى عهد خروج العرب منها ، على حصة
 موفورة ، فكان من الطبيعي أن يأخذ الافرنج عنهم ، ولا يزال الى

اليوم غناء الاسبانين يشبه غناء العرب ، وموسيقام كأنها
موسيقام ، وكذلك رقصهم وكثير من أدوات لهم ، وهكذا
الحال في اسبانيا والبرتغال اليوم بل في جمهوريات امريكا الجنوبية
ولاسيما أهل الارجنتين والبرازيل بفضل زرياب الذي رحل
الى المشرق وعنه أخذ الاندلسيون وجيرانهم .. (٢٣٧)

ويشير الاسناذ كرد علي في (خطط الشام) الى زرياب . ولى
المهدي ، والى مقدمه على خلفاء بني أمية في الاندلس ، وانه كان
يركب في مائة غلام ؛ ويذكر عن آلة تطرب (الأثرغن) التي
تقدمت الاشارة اليها في هذا الكتاب ، انها غير الاوغن الذي
يعرفه الافرنج لعمدنا ، ونقل عن الخوارزمي : ان الارغانون آلة
لليونانيين والروم ، تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس ،
يقسم بعضها الى ثمن ، ويركب على رأس الزق الاوسط زق
كبير ، ثم يركب على هذا الزق انابيب صفر لها قصب على
نسب معلومة ، يخرج منها أصوات طبيعية مصرية مشجبة على
ما يريد المستعمل ، (١٠٦/٤ — ١٠٧)

ويذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) (٢٧١ - ٢٧٥) : « ان الاندلسيين لم يستطيعوا ان يحدثوا مذهباً فنياً جديداً في الشعر العربي ، بل جحدوا عند التقليد والصوغ على تاج الشرق من غير تعمق ، ويقرر ان صنيعهم اقتصر على الشكل ، وان البناء والموشحات والازجال هي الشيء الطريف في شعرهم ، ويرى ان فن التوشيح لا يعتد به كمذهب جديد في الشعر العربي ، وانما هو شيء يجاوب والبيئة وما كان فيها من ظرف ولذة ونعم ، فأدبهم في الموشحات وغيرها لم يحدث ثورة على الأوضاع القديمة في الصياغة الفنية ، لا في صياغة التفكير ولا في صياغة الشعور ، لأن الاندلس او شعراؤها على الأقل ، لم تعرف التفكير العميق الدقيق ؛ وينتهي الى أن الموشحات والازجال استمدت دلالاتها وصياغاتها من معين المشرق ومذاهبه الفنية . »

وفي رأي أحد المؤلفين القدامى (في وفيات الأعيان) :

« ان الموشحات زبدة الشعر ونخبته ، وخلاصة جواهره وصفوته ، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على

أهل المشرق ، وظهروا فيها كالأشجار الطالعة والضياء المشرق .
ويرى الأستاذ خيال الهنداري (في نصوصه المدروسة) :
« ان الموشحات لم تحقق لتغذية الدمن وارضاء التفكير ، وانما
خلقت لاثارة الخيال والماطفة ، وإيهاج النفس ولادن والعين ،
وهي جذيرة بان تحمل معها طابع الأدب الاندلسي
والبيئة الاندلسية » .

ويورد الأستاذ نعيم الحمصي (في رائده) عن أحد المستشرقين :
« ان الموشحات الاندلسية تنفخ العالم العربي بعطر شذي من تلك
الأرض الاندلسية التي لبثت زمناً طويلاً محاطة على الروح الشامية »
ويورد قول غيره « ان أسلوب الموشحات هو ابن ليالي
الهوى وابن الكؤوس وابن الطبيعة وابن الموسيقى ، ولولا نزوعه
الى التكلف البغيض ، ولولا معاطاة غير الشعراء له ، لكان جديراً
به ان يكون المثل الأعلى للشعر الصحيح » .

وقول ابن بسام في (ذخيره) : « وهي (اي الموشحات) أوزان
أكثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل أو النسيب ، تُشَقُّ

على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب »

ويذهب المستشرق الافرنسي ديمونين الى « ان الشعر العربي في اسبانيا وجد تربة صالحة جداً للازدهار ، واكتسب فيها عذوبة فياضة ، وتذوقاً للطبيعة والحياة » .

وذكر يوسف أشباخ المؤرخ الألماني في (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين) : « ان المرابطين كانوا يطاردون العلماء الذين يخرفون عن معتقداتهم .. يعملون على تحطيم الروح الشعرية الاندلسية التي كانت تجد متعتها في قريض الفروسية والقصص المفرق ... ولم تطل سيادتهم أكثر من نصف قرن ، كما ان اواخر ملوكهم قد غمروا بسحر التمدن دون أن يشمروا ، فكفوا عن مطاردة الحضارة والثقافة العربية ، ومالوا الى مصادقة الشعراء والعلماء ولا سيما اوائك الذين شادوا في نظمهم ونثرهم بمدح حكومتهم وغزواتهم .. وقد أفادت سيادة المرابطين روح الشعب الاندلسي خلت مكان الفروسية الهائلة ، والملاهي الناعمة ، والدعابة المصطنعة ، والفتور النسوي :

روحٌ حربية قوية ، واعتدال متقشف ، وذكاء فطري ، ورجولة
متينة .

ولم يبدِ الموحدون من الغلو في مطاردة الثقافة مثلما أبداه
أسلافهم .. وقد شجعوا كثيراً من العلوم ، وغمرت الشعب موجة
من الرخاء ، وهو من العناصر المشجعة للتقدم العقلي في الشعوب «
(٢٥١/٢) .



الخاتمة

وبعدُ فقد بسطت دونك صفحة من الأدب والعلم ، توخيت فيها التقريب والفائدة ، ووضعت خلفها فكرة شعرت بها كما شعرتُ ، وعرفت كما عرفت ، وهي ان هذا الضرب من الأدب صورة عن ماضٍ حبيب ، وصرخة لزمانٍ ممسول ، كان أيام انسام الرقعة ، وامتداد الملك ، واثلاق الحضارة .

كان أيام حيرة الاقوام الباقية ، وضلة الافهام النائية ، وحلقة الاوطان المتعادية .

ولكن الدهر دول ، فما ضرب من ضربته ، حتى ضاع المجد من أيدي أصحابه ، واستبدل أهل الحيرة بحالهم خيراً ، فاذا نحن في الضلة والحيرة ، وادام في اليقظة والبناء .

ذلك اننا استبدلنا بالجدهو ، وتبدلوا باللهو جداً ؛ واتنا بتنا أميل الى الطرب واللذة ، واصبحوا أسبق الى التعب والانتاج ؛ وكذلك تتغير الاحوال بتغير الاخلاق ، وتضيع الممالك بامتهان القيم ، وتزول الامجاد في الانغماس بالاهواء .

فليكن اذن عملنا في سبيل الحق واليقظة والصدق ، ولننتفع
بالدروس التي سطرها لنا التاريخ ، وليد كبره البحث الذي كنا
فيه ، بما كان لنا في غابر الدهر ، وكيف غاض بين سمع الارض
وبصرها ، عسى ان نعتبر في سبيل البناء الجديد .

وبعد ، فربما وقع في الطبع او الصنع بعض ما يمكن أن يقع ،
وهو مما لا يبرأ منه الجهد ، ولا يمرى منه الخلق ، ولا
يخفى على الاريب .